ثلاث دوائر للحياة

اســـــم العمـــــل : ثـــلاث دوائـــر للحيـــاة
النـــــــــــوع : قصـــــــص قصـــــــيرة
تـــــــــــأليف : جمـــــال زكـــــي مقـــــار
تصـــميم الغـــلاف : نعـــــــــيم مقـــــــــار
إخـــــراج داخلـــــي : عبـــــــدالقادر فـــــــايز
الطباعـــــــــــة : اتيليـــه تـــاتش – المحروســـة
الناشـــــــــــر : الـــــدار للنشـــــر والتوزيـــــع
المـــــدير العـــــام : محمـــــد صـــــلاح مـــــراد
تليفـــــــــــون : ٠١١٢٥٨٠٠٤٦٧
البريـــد الإلكترونـــي : eddar_press@yahoo.com
فـــــيس بـــــوك : www.facebook.com/eldarpublish
رقـــــم الإيـــــداع : ٢٠١٨/٧٤١٤
التـــــرقيم الـــــدولي : I.S.B.N.: 978-977-702-217-0

ثلاث دوائر للحياة

قصص قصيرة

جمال مقار

الدار
للنشر والتوزيع

٢٠١٨

ديباجة

هذه مجموعة من القصص أُخذت أوراقها من شجرتي الواقع والخيال، وكُتبتْ سطورها بمداد من ضحك ودموع وألم وأمل لتصور في جزئها الأول (فصل: في دائرة الطفولة) لحظات اكتشاف طفل لعالم طفل يتعرف على معطيات العالم من حوله، بباكورة لم ولن ترتفع بعد إلى النضج إلا من خلال التجارب الحية، ثم تنحو بك في جزئها الثاني إلى (فاصل في دائرة الغرابة) ليتمثل الواقع في خبرات الخيال الطليق التي لا تقف عند حدود في رؤية تتسع كلما ضاقت وحددتها التجربة، لتعود في جزئها الثالث (فصل في دائرة العالم) لتمزج معاناته بمعاناة الآخرين وهم يعالجون المستحيل للإمساك بمعنى من معاني الحياة، ستراهم حين يقدمون نموذجا للخير أو الشر أو حين يتولاهم الإحباط ويدفع بهم إلى السقوط، أو يصورهم حين ينتصرون متجاوزين لحظات الانكسار المرير ليحاولوا الامساك بخيط ضوء رفيع من الأمل.

مع ذلك هي لا تصل بنا إلى يقين قاطع، إذ ليس هناك سوى الماحة تأتي من خارجها ومجملها العام: إنها الحياة التي لا تكف

عن إبداع أنماط من البشر لا يكفون بدورهم أيضا عن إبداع قصص قصيرة بقصد أو غير قصد مع إشراقة كل يوم جديد.

إنها محاولة . وما أجمل أن يكون كل جهد محاولة . لتصيد أكثر لحظات الحياة عبقرية؛ ونظمها في شكل فني بعد تخير بعض معانيها الكاشفة عن مواقف شديدة الدلالة عند انعكاسها على الشخوص الذين عاشهم وعايشوا أحداثها وعاشوها؛ لتتركه وتتركهم وتتركنا نتأرجح بين الضحك والبكاء.

❖ فصل: في دائرة الطفولة ويشتمل على القصص التالية:

١. مأساة السيدة ليندا.

٢. قليل من الريش.

٣. كيف فقد جليل ملاكه الحارس في عدة خطوات متتالية.

٤ . أنت لا تستطيع ان تنتعل حذاءين في وقت واحد.

٥ . عبد الله الجن.

١ ـ مأساة السيدة ليندا

كانت ليندا واحدة من ثمانية جراء صغار؛ انزلقت من حيا أمها (نجية) في ليلة مقمرة بين أكوام كسر الخشب بجراج شركة الوادي الجديد، ولما بلغت الجراء الفطام كانت الأم المسكينة قد أعياه كثرة ما أرضعت مع قلة ما نالت من طعام زهيد، حتى أصابها هزال شديد أفضى بها إلى مرض عضال غامض أنهى حياتها.

هكذا تركت ليندا وأخوتها مهد طفولتهم وهم بعد صغار أيتام مساكين؛ ليتلقوا الهبات من سائقي السيارات النقل الكراز الروسي شبه المتعطلين الذين يقضون وقتهم في المسامرة وتدخين الكيف على الأرصفة خارج مبنى الجراج، وحين يأتي وقت تناول الطعام، كانت جراء نجية تلتف حولهم تبصبص بأذنابها الصغيرة وهي تتطلع إليهم متوسلة بعيونها اللوزية الرائعة، وعندما يتقاعس السائقون عن رمي الطعام إلى الجراء، كان بيبرس أشدهم سطلا ومرحا؛ يصرخ فيهم:

لهم حق معلوم؛ أعطوهم طعاما، أ لسنا جميعا كلابا؟

ثم يلقي بقطعة خبز في الهواء فتسرع الكلاب الصغيرة الجائعة إليها وتتلقفها في الهواء، حتى تنتهي من أكلها، ثم تعود إليه فيرمي لها بقطعة من السمك أو اللحم وهو في حالة من جذل المسطولين؛ تدفع بقية السائقين لأن يحذو حذوه.

**

لما شبت ليندا عن الطوق أسفرت عن كلبة كلبة باهرة الأنوثة ذات قوام فريد يأتيها من نسب بعيد لكلب وولف شريد عاش قبل تشرده في جنائن الخاصة الملكية، حتى قامت الثورة وأطاحت بأصحابه، فمضى مرتحلا وحط رحاله في مخازن الشركة، هناك طارح جدة ليندا الغرام ذات ليلة ليلاء ودس في نسلهما عرقا من سلالة كلاب ملكية.

ولأن الطبيعة حبتها جمالا خاصا، كانت تشعر به في نظرات ذكور الكلاب الشبقة، تراها تمشي مزهوة بعودها الملفوف وذيلها مرفوعا يكشف عن..... كبير يشبه ثمرة كمثرى؛ وحين تكون في تربيعة أيام شبقها يحمر ويصبح مثل قلب عاشقة مكلومة ينز الدم من شقه الغائر؛ وبدا حقيقة ساطعة أنه لم يكن هناك لها مثيل بين بقية الكلبات الضائعات اللواتي عمرت بها شوارع عين شمس في

تلك الآونة، أضف إلى ذلك أنها كانت مصابة بداء الغلمة (شدة الرغبة في الجماع) ذلك ما جعل رائحة شبقها تنشر أريجها الفواح في الأجواء، حتى إن عددا لا يقل عن ثلاثة ولا يزيد عن ستة كلاب كان يسعى خلفها إذا خرجت من الشركة للتنزه، وحين تقع في عشق مع ذكر ويحدث الالتقاء؛ كنا نبدأ المطاردة، فينال المسكينان منا ضربات موجعة بالعصي أو الطوب، مما يدفعها إلى جرجرة الذكر معها في محاولة يائسة للفرار من شرورنا، وما كنا لنفلتهما إلا أن تفلته وهي في حالة من السخط والضجر، ومع ذلك عاشت ليندا حياة واسعة عريضة مملوءة لهوا و لعبا.

**

لكن دوام الحال من المحال.

كان جندب سيد كلاب الحي بجسده العامر بالعضلات ووجهه الذي تركت فيه معارك الشوارع الحامية آثارا بشعة؛ من تلك الآثار قطع في جفن إحدى عينيه تدلى قليلا عليها، فقلل رؤيته وزاد من سوء خلقه وغباء أفعاله.

كان مرهوب الجانب، فرض زعامته بلا منازع بعد أن لقن (عنتر بيبو) درسا قاسيا، حين حاول ذلك المتغطرس الغر بجسده

الضخم وجلده الأبلق أن ينتهك حدود مملكة جندب في محاولة للنيل من ليندا فتاته الأثيرة، عندها نشبت بينهما معركة حامية قاسية، وقف السائقون يشاهدونها، وانقسموا إلى فريقين، شجع كل فريق منهما أحد الكلبين، حتى انتهت المعركة بهزيمة (عنتر بيبو) فانسحب في ذلة وهو يموء كقطة صغيرة واضعا ذيله بين ساقيه وغادر الحي.

ثم كانت الطامة الكبرى التي ستغير التاريخ وتنتهي بموتها المأساوي وإبادة قبيلتها.

كان جندب يقضي نهاره متناوما في حفرة ترابية مستديرة، بعد أن قضى ليله في عربدة ومطاردات مثيرة، سابحا في أحلام أثيرة تعمر بإناث بالغات الحسن؛ فيما كانت ابنة رئيس مباحث القسم؛ وهي طفلة في الثامنة من عمرها. عائدة من درس خصوصي عند الأستاذ شفيق لوزة مفخرة مدرسي عين شمس. وعندما تقاطعت خطوات الطفلة مع مرقده أفسدت عليه أحلامه، نهض وزمجر مكشرا عن أنيابه ونبح في وجهها نبحا شديدا، وعلى الرغم من أنه لم يتجاوز النباح؛ إلا أن مشهده المرعب وجسده الضخم جعل الطفلة تسقط مغشيا عليها، ولما أفاقت ظلت ثلاثة أيام فاقدة النطق، حتى جن جنون أبيها، أرسل للمديرية مكاتبة تحمل شكواه

من انتشار الكلاب الضالة في منطقة عيشه، وإنها تعيث فسادا في شوارع وحارات وأزقة عين شمس.

أرسلت مديرية الأمن إذنا له بتشكيل مجموعة قنص، ففعل واضعا على رأسها أحد أمهر الرماة والقناصين في القسم.

في الصباح الباكر لذلك اليوم البعيد رأيناه يحمل بندقية رهيبة من ذلك النوع الذي كنا نسميه (بندقية بروحين) أي ماسورتين.

دوت طلقات البندقية لتقتل الكلاب كلبا كلبا، أضج صوتها الانفجاري مضجع ليندا التي قضت ليلة عشق صاخبة داخل جراج الشركة، نهضت مفزوعة، مما أربك إدراكها، وبدلا من أن تظل مختبئة محتمية بالشركة، خرجت تجري في محاولة يائسة للفرار من صائد الكلاب، حاصرها القناص في أحد الأركان ورماها رمية صائبة؛ أصابت ضلعها واخترقته وصولا لقلبها فمزقت جدرانه.

عوت المسكينة وخرت صريعة فاقدة للحياة.

**

عندما جاء السائقون للتوقيع في دفتر الحضور والانصراف؛ انتهت إليهم الأخبار، ذهب بيبرس ليندس بين لمة الأطفال الذين وقفوا خلف الشركة يرنون لجثث الكلاب الملقاة هنا ههنا، انصرف سويعة وعاد حاملا جواريف ومعاول رمى بها عند أقدامنا وهو يقول:

احفروا حفرة كبيرة وواروا جثث الكلاب بالتراب لئلا يحمل موتها المرض والموت لكم.

حفرنا حفرة كبيرة ثم سحبنا جثث الكلاب وألقيناها فيها، وعندما جررنا جثة ليندا؛ صرخ بيبرس متألما:

آه، وداعا يا ليندا؛ وداعا أيتها المسكينة.

أهلنا التراب عليها، ومضينا لنلعب الكرة.

بعد أيام عرفنا أن صائد الكلاب قد رُقي ونُقل إلى الحرس الجمهوري.

**

مضى عام على المذبحة، وجاءت كلاب جديدة لتسكن المنطقة، تهارشت وتعاركت وتناكحت وولدت كلابا وكلبات؛ إحداها اسماها بيبرس: ليندا، أقعت الصغيرة عند قدميه وهو جالس يستدفئ بشمس شتائية حانية؛ ويقرأ في جريدة بصوت عال ليُسمع من تحلق حوله من سائقين، أَعْلَمَهم أن القناص شارك في محاولة اغتيال الزعيم وحُوكم أمام محكمة عسكرية، عندها توقف بيبرس عن القراءة، ابتلع مرارة حلقة وجفف عرقه، وقال وهو يغلق الجريدة:

ونال بدوره حكما بالإعدام رميا بالرصاص (زم شفتيه وهز رأسه، ثم واصل) تماما مثل ليندا.

**

٢ـ قليل من الريش

طيلة الوقت؛ كانت أمه تنتج الحقائق وتبدع الحياة أرغفةً من الخبز الشمسي؛ وبقولا مدمسة؛ وكبسة من رماد الفرن على جرح أصاب يد أو قدم صغير من الصغار؛ أو استخراجَ بيضة من دبر دجاجة أو معالجةَ ديك من الديكة أو عملَ جبيرة من الخشب لجدي صغير كُسرت ساقه؛ وعديدا وأغاني ومدائح دينية حفظتها وأعادت إنتاجها وأمثالا شعبية، وحين كان أحد أبنائها يسرف في السماجة طالبا نقودا لزوم القصف واللهو، كانت تصيح فيه:

. الديك يؤذن من حوصلته يا عين أمك.

وعندما يجيء زائر تتطير منه وتتوجس شرا، كانت تهمس:

. يجيء كالفروج جالبا الطين في رجليه.

لكنها كانت أحيانا تعجز عن إدراك بعض الحقائق، فتلجأ إلى اختراعها اختراعا في هيئة فتاوى كثيرة جديدة، استطاعت بحنكتها أن تجعلها تبدو كأنها حقائق؛ أو تأمل في أن تصبح مع الوقت

حقائق راسخة لا شك فيها؛ مثلها مثل كل ما قاله الحكماء الأقدمون.

تقول له وهي تشير إلى أحد الديوك الرومي (التركي) لتقرر حقيقة من حقائقها التي تذري بتشارلز دارون نفسه:

. إنه من جنس الجِمَال.

فيصدقها فورا بلا جدال.

**

يوما؛ وهو ابن أربع سنوات سألها أن تعطيه مصروفا مثل بقية أخوته، قالت له:

. سأعطيك مصروفا؛ لكن عليك أن تتعلم الادخار، لعل أحدا في هذه العائلة يعرف قيمة القرش الأبيض في اليوم الأسود.

كان أول مصروف يأخذه منها خمسة مليمات، الحقيقة لم يأخذه بل كان يوضع في حصالة حتى تراكم وأصبح عدة قروش، يومها أغراه ثقل الحصالة ووسوسة أخيه الذي يكبره بسنوات قليلة أن يفتح الحصالة ويحصل على ما فيها ليشتري به قطع

الشيكولاته التي كان تُغطيها مربعات ورقية تحمل صور أجزاء من شخصيات ميكي ماوس، كان أخوه يجمع أجزاء صورة الحمار بندق، ولم يبق له إلا بوق الكلارنيت الذي يمسك به الحمار؛ لتكتمل الصورة ويفوز بالكاميرا الهدية.

بعد مشقة وسع فتحة الحصالة، هزها فتساقطت منها قروش ثمانية، حين هم يجمعها، رأى أمه تقف على باب الحجرة، اقتربت منه ومسحت شعره بيدها، قالت له:

. عندي حمامة بلا ذكر؛ سوف اشتري لها بالقروش الثمانية ذكرا، وأجعل الزوج مِلكا خالصا لك، ها ما رأيك؟

هز رأسه موافقا.

**

ذهبت أمه لسوق الثلاثاء، واشترت ذكرا لا يطير، ولما سألها:

. لماذا لا يطير مثل بقية الحمام؟

قالت له حقيقة أخرى ليضيفها إلى حقائقه السابقة:

. لأنه صيني.

**

أقامت أمه التعارف بين زوج الحمام؛ وضعتهما معا في قفص من جريد النخل، وبعد يومين، قالت له والفرحة تشرق في عينيها:

. سيتزاوجان.

. كيف عرفت؟

. إنه يحوم حولها ويهدل لها، ثم إنه ينقرها بمنقاره نقرات خفيفة.

بعد أسبوع تزاوجا، عندها أفردت أمه لهما مرقدا على الأرض تقديرا لظروف الزوج، وبعد أسبوع آخر من العسل باضت الحمامة بيضتين، وتبادلت مع الزوج الرقاد عليهما خلال عدة أيام الحضانة السبعة عشر.

**

كل يوم كان ينزل مع أمه ممسكا في ذيل جلبابها، وعندما تفتح باب عشة الحمام يشاهد الذكر (الصيني) واقفا

لحراسة العش والزوج، فيندهش عقله ويرتعش قلبه الصغير من الفرحة.

وعندما تفقس البيضتان؛ كانت الدنيا كلها تقف عن الدوران أمام عينيه وهما تشاهدان معجزة الخلق ولحظة الميلاد المفعمة بالفرحة البريئة.

**

كانت الحمامة الأنثى تجيء إليهم زائرة كلما فقس بيضها، عندها يجري ويحضر طبقا يملأه من جوال الأرز الموضوع خلف باب إحدى الغرف، يضعه على الأرض، فتبدأ في التقاط الحب حتى تمتلئ حوصلتها، وحين تشبع، تطير، ثم تعود في اليوم التالي في تمام العاشرة صباحا.

**

على ذلك الحال ظلت الحمامة تسعة أعوام، ثم نفضت يدها من الذكر الصيني، لأنها وقعت في عشق ذكر آخر فتيّ وقوي؛ دار حولها وسكب من هديله في أذنيها غزلا وغناء؛ حتى

أغواها؛ ثم أخذها وطار بها بعيدا، هناك تبادلا القبل وأشياء أخرى.

أقامت معه في صفيحة معلقة حتى لا يصل إليهما الذكر القديم الذي صام عن الأكل، حتى نحف وجف عوده وأصابه الحزن والذبول، الأمر الذي أثار غضب أمه على تلك الأنثى الغادرة اللعينة، سمعها تقول لها متوعدة:

. يا كلبة؛ تستحقين قطع رقبتك.

**

ثم جاء صباح، عادت أمه من السطح حزينة ومكتئبة، لأنها رأت الذكر (الصيني) وهو يحاول يائسا أن يطير ليصل إلى أنثاه، ثم أخطأ الوقوف فسقط في الإسطبل المهجور الملاصق لبيتهم، ولما أطلت لتراه لعلها تقدر أن تجد سبيلا لإنقاذه، رأت سربا من الكلاب الضالة الجائعة تحاصره، ثم بدأت في نهش جسده الصغير بأنيابها المسعورة، حتى راح مِزَقاً بين أشداقها النهمة؛ ولم يبق منه سوى ريشات قليلة تذروها الريح.

٣ ـ كيف فقد جليل ملاكه الحارس في عدة خطوات متتالية

١ . عندما أصبح له من العمر أربع سنوات ونصف، كان قد أفصح عن طفل عجوز؛ يستطيع أن يدرك جنبات العالم المحيط بعقله، ذلك ما جعل أبوه يوافق على ذهابه سيرا وبلا رفيق إلى مدارس الأحد.

في عصر ذلك اليوم ألبسته أمه بنطالا وقميصا حاكتهما بنفسها من بقايا ملابس دور مسرحي هزلي أداه أبوه من سنوات طوال.

على ذلك النحو الذي يبعث على المرح؛ رآه أبوه واقفا أمامه ممسكا بيد أمه، فانفجر في ضحك مجلجل، انحنى عليه وقبله ثم مسح شاربه بيده؛ ووضع في كفه الصغيرة قرشا ليضعه بدوره في طبق العطاء الذي يمر به في الكنيسة طفل آخر أكبر سنا.

هكذا اندفع سائرا في طريقه لكنيسة (مار جرجس) مصحوبا بنداءات خفية داخلية تصعد من أعمق أعماقه كأنه سيقابل البطريرك نفسه.

عند وصوله، استقبله بدهشة فتى يافع في الخمسة عشر عاما من عمره؛ له سحنة سمراء تدل على منبت صعيدي، وعينان سابحتان في حمى الإيمان، سأله في رفق:

. أ جئت وحدك؟

هز رأسه الصغير، فابتسم له؛ وقال:

. اسمي ميخائيل، وأنت؟

. اسمي جليل.

ازدادت ابتسامته اتساعا وعاود السؤال:

. أجئت من أجل مدارس الأحد؟

مرة أخرى هز الصغير رأسه إيجابا، فقال ميخائيل له:

. طيب، أُدخل وانتظر مع الأطفال، سآتي في الحال.

دخل لأول مرة إلى بهو الكنيسة، أدهشته الصور المعلقة على الجدران لهؤلاء القديسين الأبرار بلحاهم الوحشية المنسدلة على صدورهم، ثم جاءت رعشة وأمسكت بجسده الصغير وهو

ينظر إلى الملاك الذي يحلق في الهواء مشهرا سيفا من نار يتهدد به وحشا شريرا.

**

غاب ميخائيل ثم عاد ومعه صور صغيرة مقاس ٦X ٩ سم سيئة الطباعة، وبدا في توزيعها علي الأطفال، قبل أن يأمرهم بالوقوف لقراءة (أبانا الذي في السموات) ردد كلماتها التي أحفظتها له أمه بصوت عال طغى على ما تمتمت به شفاه بقية الأطفال.

لما انتهوا، قال ميخائيل:

. اجلسوا.

علا صوته في بهو الكنيسة وحلق سابحا بهم في سموات الأحلام، حكى قصة طفل صغير ذهب إلى مدارس الأحد، وعندما انتهى الدرس ضل طريق عودته إلى البيت، وراح يتخبط في الطرقات، ثم أعتمت الدنيا، وبدأ يضرب على غير هدى، حتى جاءه ملاك الرب وصاحبه إلى البيت، ومن بين بكاء أمه وفرحة أبيه برجوعه بكى جليل أيضا في صمت.

وهو يعيش تلك الميللو دراما الشجية؛ أسر في نفسه شيئا؛ أن يتوه عمدا في طريق عودته؛ ليجبر الملاك أن يجيء ويعيده إلى أهله.

بعد انتهاء الدرس مضى يضرب في الشوارع المتربة شمالا ويمينا منتظرا أن يأتي ملاك الرب أو حتى أي ملاك آخر، لكن أحدا لم يجيء سوى بعض كلاب ضالة طاردته؛ وكادت تنال منه، ولولا احتماؤه بمدخل أحد البيوت؛ لفتكت به، حتى خرج على نباحها رجل في منتصف العمر، رآه واقفا يرتعد من الخوف، سأله:

. ماذا تفعل هنا يا صغير؟

قال له:

. الكلاب تحاول أن تعضني.

أطل الرجل فوجد سربا منها واقفا يتسكع، لوح عليها بعصاه، فنبحت وكشرت عن أنيابها، مال والتقط حجرا، ورمى به إحداها، عوى وجرى واندفعت بقية الكلاب هاربة، عاد إليه وسأله:

. ابن من أنت؟

أجاب :

. ابن جلال.

. آه؛ صاحب المكتبة؟

هز رأسه، التفت ونادى:

. يا شوشو.

جاءت فتاة في مطلع المراهقة، حلوة ولها ضفيرة غليظة تتدلى حتى ردفيها، قال لها:

ـ خذي الولد؛ أُوصليه لبيته، إنه ابن جلال صاحب المكتبة على ناصية شارع عبد الرحمن محمد، أتعرفين البيت؟

هزت البنت رأسها، وقالت:

. نعم أعرفه.

أمسكت بيده، ومشت به، وبدأت الدنيا تعشي، من وقت لآخر كانت البنت تنظر إليه وتبتسم ابتسامة غامضة، ثم نحت به نحو شجرة كافور ضخمة، تلفتت حولها ولما أمنت العيون أمسكت

كفه ووضعتها على.... فلم يمانع، أخذت تدعك بها في قوة وتتأوه، بينما بقى جامدا ذاهلا ينظر إليها، ثم ارتعشتْ وندت عنها آهة قوية، حتى هدأت، قبلته وواصلت المسير.

عندما وصلا إلى البيت . في المدخل ـ انحنت عليه، رفعته وقبلته، وضعت كفه على ثديها، وتأوهت مرة أخرى، في تلك المرة أحس بتيار كهربائي يسري في جسده، انتابه خوف قصي وبادر بهمسة باكية، فأنزلته، وقالت وهي تقبله مرة أخرى في خده:

. لا تخف يا مغفل.

بينما ترامى صوت أبيه من داخل الشقة، يقول لأمه:

. كفى عن البكاء والعويل، قلت سأذهب وأبحث عنه.

عندها دقت شوشو الباب بكفها، وما إن فتح أبوه ورأته أمه حتى قفزت من فوق الكنبة، واندفعت نحوه وهي تمد يديها، رفعته في الهواء وعادت تحتضنه بقوة وهي تبكى، بينما سبه أبوه:

. أين كنت يا ابن الكلب؟

لم يجب، كان ذاهلا كأنه يعيش حلما غريبا، بينما حكت لهما الفتاة كيف وجده أبوها.

**

في تلك الليلة، أدرك أنْ ليس هناك ملائكة ستنقذه إنْ ضلَّ الطريق سوى تلك الفتاة الملاك، انبعث بداخله إحساس غامض جعله يرى طيفها متجسدا أمامه في الظلمة المتمكنة.

والنوم يراود جفنيه، بحث عبثا في أعماق روحه مرارا عن ذلك التيار الكهربائي الذي بعثه ملاكه الحارس في جسده من قبل، لكنه لم يجده.

**

٢ . رغم ذلك أصر أبوه أن يذهب إلى مدارس الأحد وحده، شريطة أن يمشي في طرق مستقيمة لا يحيد عنها شمالا أو يمينا، وفي مسيرته نحو الإيمان تواكب أن تقاطعت غواية الشيطان مع دعوة الرحمن في ذات الموعد الذي يذهب فيه إلى الكنيسة، ففي الخامسة عصرا يخرج عم عبده من محل صناعة (الجيلاتي)

بعربته البوكس المحمولة على دراجة لها ثلاث عجلات مكتوبا على جنبها:

. شركة آيس كريم عبر البحار لصاحبها عبده وأولاده.

على جنبها الآخر رُسِمَ قرطاسٌ ممتلئا شكولاتة بنية وفانيليا بيضاء؛ يسيل على أجنابه خيط منهما، فيسيل لعاب الصبية والصبايا الذين يتحلقون حول العربة وهم يمدون الأيدي بقروشهم القليلة إلى الرجل، فيعمل يديه في آلة اللذة، ثم يدفع إليهم بقراطيس البسكويت المعبأة بالجيلاتي.

همس لنفسه في مكر طفولي:

. مادام الملائكة لن يأتوا ليأخذوني في طريق عودتي فأنا أولى بقرش العطاء.

قبيل الوصول إلى الكنيسة، ترصد وصول العربة، أعطى العم عبده القرش، فملأ له قرطاسا مسروقا من الجنة بآيس كريم المانجو والفانيليا.

**

عندما مر الولد بطبق العطاء؛ وقف بضعة ثوان أمامه أملا في أن يضع شيئا، طأطأ رأسه أسفا، ولما يَئس الولد جامع العطايا، تركه ومضي لغيره.

هكذا سارت الأمور، حتى وشى به (كريم، ابن جارة لهم) لأبيه، فنال علقة ساخنة، ولم يعد أبوه يعطيه شيئا للعطاء.

**

بعد أسابيع من العلقة استعاد بعض شجاعته التي ذهبت بها الخيزرانة اللعينة، وفي ذلك العصر . قبل الذهاب إلى مدارس الأحد- وقف أمام أبيه وأطال الوقوف، حتى ضاق الأب بهذه المراوغة وضع في يده قرشين، وقال موصيا بلهجة مسرحية:

. واحد منهما يا ولدي للرب، والآخر لقيصر، فأعط ما لله لله؛ وما لقيصر لقيصر، فاهم؟

هز الصغير رأسه وابتسم، ومضي مجنحا يتأرجح بين الله وقيصر، حتى وصل إلى ذلك الصندوق المسروق من الجنة، راقب الرجل وهو يسوي أطراف المانجو والفانيليا في القرطاس بسكين الجيلاتي، أخذه منه وأعمل فيه حواسه جميعها ليصل إلى

عمق الإيمان أو إلى طرف من خبره عن الجنة الموعودة عبر مذاق الفاكهة الذي يصعد إلى رأسه.

هكذا ظل حينا وفيا لمعادلة الرب وقيصر، لكن . والحق يُقال ـ إنه مع الوقت اختل من يده الميزان قليلا، كان من حين لآخر يعطي القرشين لقيصر وحده، ويخفض مما يجب أن يناله الرب من عطايا.

كلما مضت به الأيام أدرك أكثر؛ كم هو طيب ومتسامح جدا ذلك الرب البعيد الذي يسكن السماوات العلى، لذلك لم يعد يدفع له شيئا جزاء رحمته، بينما استولى قيصر على القرشين بالكامل مقابل كل تلك اللذات العابرة.

**

٤ ـ أنت لا تستطيع أن تنتعل حذاءين في وقت واحد.

١ـ كان أول ما تفعله الشمس حين تستيقظ أن ترسل أشعتها لتنسل من زجاج النافذة لتعشي عينيه، يتململ ثم يفتحهما كثعلب صغير يدير بصره في العالم من حوله، لكنه يظل متناوما راقدا في فراشه حتى تطمئنه نحنحة أبيه المعتادة، ويتيقن أنه خارج للعمل، حينها ينهض عن سريره، يلتقط كسرة من الخبز المقدد؛ يقرضها كالفأر وهو يسحب في حرص طوقه والسيخ الحديد الذي يقوده به، ويذهب قفزا من النافذة إلى الشارع، بينما يتناهى إليه صوت أخيه الأكبر طالب البكالوريا يستظهر بلاغة نص شعري بصوت عال:

. وضح أثر البيئة في التعبير.

ما إن يستقبل الطريق حتى يبدأ في العدو متنقلا من شارع لشارع، يميل بطوقه ويدور به من حارة لحارة، مصحوبا ببقايا صوت أخيه في الذاكرة؛ وحين يصل إلى ملعب الكرة الكبير، يضع الطوق على الأرض ويجلس في منتصفه حتى لا يُسرق، بينما يصطف جمع من الفتية والصبية والأطفال الذين جاءوا

ليشاهدوا هلال العجيب الذي لا يلعب الكرة بل يتلاعب بها وباللاعبين الآخرين، كان قبل المباراة يقدم فاصلا أكروباتيا مجانيا للجمهور، حيث يبدأ في (تنطيق) الكرة بساقيه اللتين تذخران بفصوص من العضلات القوية البارزة المغطاة بجلد مشدود مكسو بكريات صغيرة من الشعر الأسود. يدفع الكرة بقدمه ويرسلها إلى صدره ليرفعها إلى رأسه ثم يمررها على كل جزء من أجزاء جسده الأسمر الذي يشبه جسد ثعبان في مرونته والتفافه.

حين ينتهي الفاصل الاستعراضي، يبدأ أخوه الأصغر هليل بائع الحلوى في عزف لحن راقص بعفاطته* المصنوعة من البوص، يلتقط بعدها صينية العجمية* ويدور بها على الأطفال لمن يرغب في الشراء.

يمد الصغير يده ليخرج شلن ورقيا من بقايا عيديته، خبأه في دكة سرواله الداخلي خشية الضياع؛ يدفع به إليه؛ ويلتقط قطعة من العجمية أو نبوت الخفير*، يأخذ في قضمها فينسرب مذاق السكر الذي تحتويه القطعة صاعدا بنشوة عارمة إلى رأسه.

**

ثم تبدأ الشبيبة في القدوم، حتى يكتمل عدد اللاعبين وتتم التقسيمة بالقرعة بما لا يدع لأحد فرصة الادعاء أن هلال منحاز لفريق من الفريقين.

ما إن يبدأ اللعب حتى يبدأ هلال التلاعب بكل شيء يقع في مجاله الحيوي: الكرة واللعيبة ومشاعر المتفرجين كما يشاء، حتى تتعالى الآهات من قلوب الجماهير المنحازة بالتشجيع للفريق الذي شاءت القرعة أن ينضم الفتى إليه.

كان لعب الكرة بالنسبة له هو الحياة عينها؛ ولا شيء آخر يمكن أن يشغل عقله أو قلبه.

لا تسأل عن كيف يكسب عيشه وهو يقضى جل ساعات يقظته يلعب الكرة فقط ولا شيء آخر في النهار سوى ذلك، فقط كان في الليل يساعد أخاه الأصغر في صناعة العجمية ونبوت الخفير مقابل قروش قليلة من الأرباح؟

**

ثم وضع أحد الحصفاء يده على كنز من الأفكار المتعلقة بتنظيم فريق متكامل يناجز به فرق المناطق الأخرى

المحيطة بهم، انتخب من بين عشرات اللاعبين أحد عشر نجما لامعا ونظمهم كما ينتظم اللؤلؤ في عقد واحد، وأسماه (شموس عين شمس) .

**

مهد الفريق أرض ملعب بقياس قانوني؛ رفع عنه الحصى والأحجار الكبيرة وبعر المعيز وبقايا روث البهائم، وثبت في طرفيه عارضات مرميين، وبإعانة يسيرة من منظمة الشباب؛ حصل بسعر بخس من النادي الأهلي على الكور والشباك التي استهلكها التمرين.

ثم قادته أفكاره إلى تنظيم دورة كروية على مستوى المناطق المحيطة: المطرية؛ النعام؛ عزبة النخل؛ المرج؛ كفر فاروق؛ وبالطبع عين شمس التي كانت أيامها منطقة شبه صحراوية تشبه أرضها المسطحة الرملية سهوب آسيا الصغرى.

كانت كل منطقة من هذه المناطق تطلق على فريقها اسما يوحي بالجسارة والبطولة لإلقاء الرعب والهيبة في نفوس الفرق الأخرى، هناك كان (أسود المطرية؛ وأشباح النعام؛ وسفاحو المرج، ونجوم الكفر؛ وعمالقة عزبة النخل؛ وشموس عين شمس)

تلك الشموس طارت شهرتها محمولة على اسم هلال لتطابق آفاق المناطق المجاورة.

**

كانت المباراة القادمة التي تمثل الدور قبل النهائي ستنعقد بين شموس عين شمس ونجوم الكفر، وأودت القرعة إلى لعب المباراة على أرض الغباشية بالكفر، أما نتيجتها؛ فإنها فضلا عن صعود الفائز إلى النهائي تمهيدا لحصوله على كأس من النحاس الخالص، هناك صندوقان من البيبسي كولا (وما أدراك ما البيبسى كولا؛ أيامها كان شرب زجاجة منه أملا بعيدا) سيدفع ثمنهما الخاسر بإذن الله تعالى.

بينما سيحضر اللقاء النهائي رئيس اللجنة التنفيذية للاتحاد الاشتراكي عن دائرة المطرية ليتوج بنفسه الفريق المنتصر.

**

اجتمعت الجماهير المشحونة بالحماس تهتف وتتبادل السخرية الممزوجة بالسباب المنغم فيما بينها.

بينما ضُبط صوت الميكروفون الذي أصدر صفيرا مزعجا، وقال العامل المناط به أمره:

. آلو ألوه، واحد اثنان ثلاثة أربعة، آلو لوه.

ثم ناول مذيع المباراة الميكروفون:

ـ بسم شعب عين شمس أحيي السيد الزعيم البطل رئيس الجمهورية وسيادة المشير و.....

تعالى الهتاف والصفير لسماع اسم الزعيم البطل معبود الجماهير.

صمت المذيع حتى هدأ حماس الجماهير المصطفة على الجانبين، ثم بدأ يذيع أسماء لاعبي الفريقين، ويتابع الأحداث.

**

بدأت المباراة؛ ومع صافرة البداية تلاعب هلال بخط دفاع الكفر وأوسعه ترقيصا ومراوغة، ثم أودع كرة هائلة في المرمى، زلزلت رميته القاتلة قلب حارس المرمى والفريق وجماهير الكفر، وزاطت الجماهير المصطفة زياطا ما بعده زياط.

بدأ لاعبو الكفر في الخشونة معه والاحتكاك به لكنه راغ مرات منهم، ثم تلقى رمية من خط الوسط مر بها كالسهم من بين لاعبي الدفاع واحدا إثر الآخر، ثم أرقد الحارس على جنبه الأيسر، ووقف على خط المرمى واضعا قدمه فوق الكرة ويحركها جيئة وذهابا وهو يتأمل الوجود الذي احتبست أنفاسه ترقبا، ثم انكسر الصمت؛ واكتسح حماس هائل الجماهير وراحت تهتف:

. حطها حطها، رد البنت لأمها.

جرى الحكم إليه وهو يلوح بسبابته لإضاعته وقت المباراة، لكز هلال الكرة بقدمه الحافية لكزة خفيفة لا مبالية، وعاد يجري كالغزال وهتاف الجماهير يصعد بالنشوة إلى عنان السماء.

**

كان الوقت يمضي والنتيجة أصبحت ثلاثة مقابل لا شيء لصالح شموس عين شمس، حين هجم مدافع من مدافعي الكفر على هلال كالثور الهائج، اصطدم به ورماه أرضا، وقف هلال ينفض الرمال عن ملابسه، ونظر للحكم، الذي تجاهل الأمر ولم يحكم بشيء ضد شاب الجاموس الفالت، بينما هتفت جماهير الكفر:

. قوم يا أخويا قوم نفض الهدوم.

مشى هلال والغضب يعصف به، وحين حاول زميل له أن يهدئ من غلوائه، أزاح يده في عنف، فهتفت جماهير الكفر:

. وعمل لي فله ده قرص جله.*

بينما كان الصغير يشاهد ويسمع، قال لمجاوره دون تحسب:

. وضح أثر البيئة في التعبير.

انتهت عبارته إلى آذان مغاوير الكفر، فسرى زوم مخيف غريب في الجو يشبه زوم جنود الأمن المركزي؛ سرعان ما تحول إلى صرخات وحشية مطالبة بالنار ولا العار؛ تطايرت زجاجات البيبسي وقطع من الأحجار لتصب هلاكا على المعتدين، بينما رفرفت ساقا الصغير في الهواء وضرب بجناحيه هاتفا:

. يا رجلي اسبقيني.

**

٢ . انتهى الأمر إلى مشاجرة ضخمة أسفرت عن رضوض وبطحات وسحجات، وعاد هلال بجرح غائر في فروة الرأس وآخر

أقل شأنا في الجبهة مع ضمادة كبيرة وشتها بقع من الدم وصبغة اليود.

**

كان الدكتور (حسين) يخيط دون مخدر جرح فروة رأس هلال الذي استلزم عشر غرز؛ تحملها دون أن تند عنه آهة ألم واحدة، مما أثار تعجب الطبيب من تلك القدرة العجيبة على التحمل، نظر إليه مندهشا وراح يرقب الوجه الأسمر الذي لوحته الشمس القوية التي تغمر عين شمس بضيائها الأَخاذ منذ إشراقها حتى المغيب، ومشى بعينيه على قسماته الشعبية القوية، تلك الجبهة العريضة الصلبة، وذلك الأنف العظيم الذي يميل إلى الفطس، تأمل قدرته على سحب كمية هائلة من الأوكسيجين ليبعث بها إلى تلك العضلات طيلة ساعات اللعب، ونظر إلى هاتين الشفتين الممتلئتين المعبرتين عن صحة وعافية ورجولة يافعة قوية وجدت التعبير عنها في لعبة الكرة، سأله:

. ألا تشعر بألم من وخز الإبرة في جلد رأسك؟

. نعم، أشعر بالألم.

. لكن لا يبدو عليك أي تأثر من جراء هذا؟

. أنا معتاد على تلقى الجروح، كما إنه من العيب أن يعبر الرجل عن ألمه مثل الأطفال.

هزت عبارته أشياء في نفس حسين وسرت رجفة في أوصاله وهو يرقب ذلك الوجه الشامخ القادر على عبور لحظات الألم في صبر وجلد أصيلين.

كان قد أوشك على الانتهاء، حين ارتد للخلف قليلا وأمعن النظر في ذلك الكائن الانساني الفريد كأنه يتأمل لوحة فنية، ثم ابتسم، وعاد ليأخذ الغرزة الأخيرة، ولما انتهى من عمله، فتح دولابا زجاجيا صغيرا، وأخرج حقنة تيتانوس نادى على الممرض وقال له:

. اغل الحقنة.

ثم استدار إلى هلال؛ وقال له:

. وأنت تعال اجلس هنا، أريد أن أتحدث إليك.

نهض هلال عن طاولة الجراحة، عدل من ملابسه البسيطة، ثم جلس في مواجهة د حسين، تبادلا النظر والابتسام، قبل ان يقول له:

ـ أنت إنسان عجيب يا هلال، كيف يمكنك أن تركل الكرة على ثقلها بقدم حافية؟

. اعتدت ذلك منذ الصغر.

. دعني أرى قدميك.

نهض عن مكتبه، بينما رفع هلال رجلي بنطاله قليلا، انحنى حسين بجسده وتفحص بعينيه قدميه، ليرى كاحلين مثلما كان لأخيل وأبطال الأساطير، ينتهيان بقدمين ضخمتين أشبه بخفي جمل ماتت أطراف أصابعهما، وعلتهما طبقة من الجلد السميك؛ بينما غطت طبقة أخرى من الجلد المدبوغ أخمصيهما بفعل الجري في الرمال الساخنة ساعات متواصلة من النهار لسنوات طويلة، هز رأسه متعجبا، وعاد ليجلس إلى مكتبه مستغرقا في التفكير، رفع عينيه لهلال، وقال:

. سمعت حكايات كثيرة عن موهبتك في لعب الكرة، أ أنت بالفعل لاعب فذ كما يشيعون عنك؟

. هذا ما يتحدثون به عني.

. لِم إذن لا تلعب للأهلي أو الزمالك أو أي من الأندية الكبيرة؟

. يدي على يدك أرني السكة.

ـ اسمع لي صديق احترف الطب الرياضي، يعمل مع طاقم التدريب في نادي.....، يمكنني أن أوصي بك عنده، ليعطيك فرصة عرض مواهبك على مدربي الفريق، ما رأيك؟

. رأي من رأيك يا دكتور، وكما قلت لك: يدي على يدك.

. جميل، مر علي غدا صباحا.

. أسنذهب غدا؟

. لا، أريد أن أمدك ببعض أشياء مفيدة.

**

في الصباح، مر هلال على عيادة الدكتور، استقبله باسما، ولما جلس التقط الطبيب بقجة صغيرة موضوعة على الأرض تحوي بعض ملابس دفع بها إلى هلال، وهو يقول:

ـ تكلمت مع صديقي الذي أخبرتك عنه، الأسبوع القادم سنذهب معا للنادي..... لتجري اختبارا، إن تجاوزته ستشارك في تقسيمة، الآن عليك ان تجرب هذه الملابس.

نهض هلال، اختفى خلف الحاجز الخشبي دقائق، وخرج لابسا بنطالا وقميصا غيرا من مشهده وهيئته، ابتسم حسين الباشا له، هز رأسه راضيا، وقال:

. عظيم جدا، الآن جرب هذا الحذاء.

ابتأس وجه هلال، وبدا عليه أسى بالغ استثار تعجب الطبيب وتساؤله:

. أهناك ما يسوء؟

. جربت قبل ذلك مرات أن ألبس حذاء، لكنني لم أطقه من الألم.

ـ بدون حذاء في قدميك لا يمكننا الذهاب إلى النادي، تحامل وتحمل وسوف تعتاد عليه.

جاهد هلال حتى لبس الحذاء، وتحامل حتى لا يبدي ألما أمام الطبيب فيفقد الفرصة، سأله:

. ها؟

. أحسن كثيرا، إنه واسع بعض الشيء، مما يساعدني على تحمله.

. جميل جدا، يمكننا إذن أن نذهب معا للنادي في الأسبوع القادم.

. لا أعرف كيف أشكرك.

ـ لا شكر ولا حاجة، لكن عدني ألا تخلع الحذاء عن قدمك اليوم بطوله، حتى تعتاد عليه.

. أعدك.

. مع السلامة.

**

بعد أسبوع، تقابلا، تبادلا التحية والابتسام، وراقب حسين الباشا علامات التوتر البادية على وجه هلال، قال مهدئا خاطره:

. لا تتوتر، ولا تخف، سيكون لك شأن عظيم في تاريخ الكرة، كل ما عليك أن تفعله هو بعض الصبر والتحمل، أنت لها يا رجل.

استقلا الباص من محطة عين شمس، ولما وصلا إلى نهاية الخط؛ نهض هلال بصعوبة عن كرسيه، الأمر الذي جعل الطبيب يسأل:

. ما لك؟

. لا شيء.

مط شفتيه، ومضيا ماشيين حتى وصلا إلى منتصف كوبري قصر النيل، وقف هلال وقال متوسلا:

. لم أعد أستطيع التحمل.

. ما بك؟

. كأن كلبين مسعورين ينشبان أنيابهما في قدمي.

أمسكت الحيرة بحسين، ثم هداه تفكيره، قال:

. اخلع الحذاء، ستنتعله قبل بوابة النادي.

خلع الحذاء عن قدميه، وواصلا المسير عابرين دهشة العيون التي حملقت فيهما.

**

كان النادي يفتح أبوابه أمام محبيه ومشجعيه ليحضروا التدريب والتقسيمة، لذا كان هناك حشد من البشر ممن يحملون طبولا ودفوفا لها صاجات يهزونها في الهواء فتحدث صليلا مبهجا يصاحب الطبول والهتاف المتتالي.

أدار هلال عينيه في العالم الذي يحيط به.

أقبل عليهما شاب باسم فارع الطول، سلم على حسين الذي قال:

. هذا هو هلال الذي حدثتك عنه.

مد الشاب يده مسلما مرحبا، قال:

. هيا بنا.

قبل أن يمضوا مال عليه حسين، وهمس في أذنه:

. دعه يلعب حافيا.

بدت الدهشة على وجهه، وتساءل:

. كيف؟

ـ إنها تقسيمة، أعطه فرصة ليبرز مهاراته، ومع الوقت سيعتاد على لبس حذاء الكرة.

. سأحاول.

عندما توقفوا عند طاقم التدريب، نهض المدرب وسلم على طبيب النادي، الذي همس بدوره في أذنه ببعض كلمات، فهز المدرب رأسه موافقا:

ـ لكنه لو لم يستطع تجاوز حفائه فيما بعد؛ لن يكون له فرصة أبدا.

. هو مدرك لذلك.

بدأت التقسيمة، ودفع بهلال إلى فريق مكون من لاعبي الصف الثاني والاحتياط واللعيبة الكسر ممن سيعيد النادي النظر في أمرهم، ولم تمض سوى دقائق معدودة حتى رمى هلال الكرة بركلة هائلة حملها عذابات روحه وآمالها، وإذ بها تصطدم اصطداما مروعا بالعارضة وترتد من عزمها إلى منتصف الملعب، مرت لحظات ثقيلة سادها صمت ألجم بالدهشة ألسنة الجمهور، حتى استوعبت ما حدث، ثم انفجر سيل من الهتاف والصفير المصحوب بوقع الطبول ودق الدفوف وصليل الرقوق.

ثم مرر إليه أحد لاعبي خط الوسط كرة بينية، أخذها وبادلها بين قدميه ومرق بها كالغزال، برز له أحد لاعبي الدفاع؛ فرواغه، وحين واجه لاعبا آخر راغ منه كالثعلب، ثم رفعها من فوق رأس الحارس، ووقف عند خط المرمى واضعا قدمه عليها . كعادته الأثيرة في التلاعب بمشاعر الجمهور. وراح في تأمل عميق لمعنى من معنى الوجود يتعلق بإذلال الخصوم، ظل معه غير عابئ بفيض التنهدات والآهات التي استحالت هتافا مدويا يكاد يصم أذنيه.

وقف طاقم التدريب كله مذهولا، صاح المدرب به إثباتا لذاته في صناعة تلك المعجزة:

. ضع الكرة في المرمى يا هلال وإلا....

مس هلال الكرة بطرف قدمه مسا خفيفا لتتجاوز خط المرمى بشبر واحد، وعاد يجري نحو خط الوسط، بينما بلغ الحماس بالجمهور مبلغا جعله يهتف حتى بحت حناجره.

قال المدرب لمساعديه:

. أكاد لا أصدق عيني، إنه تحفة، لا ليس تحفة، إنه معجزة.

انتهت التقسيمة، فجرى بعض المتفرجين الأكثر حماسا، وحملوا هلال على الأكتاف.

**

أُخبر رئيس النادي ومجلس الإدارة أن نجما جديدا ولد للنادي، سيغير مسارات الهزائم التي لحقت به في موسم ١٩٦٥، بينما قرر المجلس مشاهدة التمرين التالي، ليروا بأعينهم ذلك النجم الصاعد.

**

بعد يومين، حين بدأ التدريب، تساءل رئيس النادي متعجبا:

. أ سيلعب حافيا؟

قال المدرب:

. شاهده سيادتك أولا.

كالعادة أذهل هلال مجلس الإدارة كما أذهل من قبل طاقم التدريب والجمهور.

قال رئيس النادي للمدرب:

ـ ابذل معه جهدا منفردا ليعتاد على انتعال حذاء الكرة، ستكون خسارة كبيرة إن لم يلعب هذا الولد مع الفريق الأول.

**

لم يتول المدرب أمر هلال بنفسه ولم يبذل كل ما في وسعه، بل أوكل الأمر لمساعد ضعيف الخيال، يستعيض عن جهله بقدرة على النميمة والوشاية وتسويد صفحات الآخرين لتبييض صفحته، بالإضافة إلى مقدرة على التآمر لا تقل سوءا وبلاء، قادته لعقد صفقات رخيصة مع لاعبي الصف الأول الذين رأوا في هلال تهديدا حقيقيا لعرش نجوميتهم.

قال للمدرب:

. بذلت معه من الجهد ما يكفي لتدريب فريق بأكمله، وبقدر ما هو معجز إذا لعب حافيا؛ بقدر ما هو بائس عاجز إذا لبس حذاء الكرة.

. لكن رئيس النادي بنفسه هو الذي أوصى عليه.

عاد المساعد يقول بلهجة تقطر سوادا:

. دعه يشاهده وهو يتمرن منتعلا حذاء الكرة، ولسوف يطرده طردا من النادي.

**

في ذلك اليوم البعيد، نادى المدرب على هلال، فمضى إليه بقدمين متوجستين تعلمان أنهما لن تدوسا على المستطيل الأخضر مرة أخرى، وقف عنده، ناوله المدرب مبلغا بسيطا من المال، وقال له:

ـ إنها مكافآت التدريب، لم يشأ مجلس الإدارة حرمانك منها، وقع هنا.

وقع بيده مرتعشة وبخط أعرج مرتبك، ثم رفع عينيه إليه سائلا عن مصيره، قال المدرب بلهجة باردة قاسية:

ـ يؤسفني جدا أن أبلغك قرار مجلس الادارة بعدم قبولك بين صفوف الفريق.

احتبست الكلمات في حلقه، وبصعوبة بالغة خرجت منه كلمة واحدة مختنقة حزينة متسائلة:

. لِم؟

أجابه المدرب في لهجة غامضة تخفي قدرا من السخرية:

. أنت لا تستطيع أن تنتعل حذاءين في وقت واحد.

- العفاطة: آلة نفخ بدائية تشبه الناي مصنوعة من البوص بها أربع فتحات، وسلمها الموسيقي غير مكتمل.
- العجمية ونبوت الخفير: نوعان من الحلوى الريفية.
- عمل لي فله وهو جله: مثل محلي للتحقير من شأن شخص يدعي العبقرية.

٥ ـ عبد الله الجن

كان العم عبدالله الجن شابا فلاحا فقيرا معدما، الحقيقة أنه لم يكن معدما تماما؛ لأنه يمتلك بقرة وفأسا وحبلا وقفة وبلاص جبن قديم وجلبابا غير مرقوع من التيل وزوج من أحذية الجيش المسمى بالبيادة*؛ عُدل ليواجه مقتضى الحياة المدنية.

اشتهر عبد الله في مطلع أيامه بقدرته الخارقة على العوم بعرض بحر يوسف جيئة وذهابا، وبأنه أكبر طليع نخل في بلدة العور بمركز سمالوط*، ولو أن اللجنة الأوليمبية قررت إدراج تسلق النخيل ضمن الألعاب الأوليمبية لحصد لمصر عدة ذهبيات.

يوما استأجر فدانا للزراعة من أحد أعيان البلد، وظل يزرعه سنتين، ثم صدرت قوانين تنظم عملية الإجارة الزراعية مؤداها (كل من زرع أرضا لثلاث سنوات متتالية هادئة ومستقرة أصبح مستأجرها الدائم، وليس لصاحب الأرض أن يعترض) بتعبير الفلاحين :أصبح راكبا الأرض.

ذلك ما جعل صاحب الأرض يبلغ عمي أنه ألغى الإجارة، ولما كانت الأرض مزروعة والمحصول أوشك على النضج،

استمهله حتى يجني الزرعة، رفض الرجل، ولجأ إلى نفوذه، دعا مأمور القسم إلى مأدبة حافلة، ومن تحت المائدة ناوله صرة كبيرة مملوءة ريالات من زمن الملك فؤاد الأول*، كل ذلك جعل الرجل يرى الحق ساطعا، ويغضب غضبة قوية اهتزت لها المديرية.

**

في صباح اليوم التالي، كان من الممكن للفلاحين الساعين لغيطانهم أن يروا العم عبدالله والجند يجرجرونه للمركز ويوسعونه ضربا وركلا، حتى وقفوا به أمام المأمور، الذي قال: . اسمع يا ولد: قبل شمس النهار ما تغيب، تجمع خرقاتك وتسيب الأرض لأصحابها، فاهم؟

أجاب عبد الله في حصافة:

. طبعا فاهم، يا جناب سعادة القومندان* المأمور.

**

لما خرج من المركز؛ طار إلى بيته، لبس جلبابه التيل الوحيد غير المرقوع، ودس رجليه في حذاء الجيش المعدل موديل السنة ١٩٥٩، و يا أولاد: أين القطار؟

هبط القاهرة عصرا قاصدا بيت أخيه، وما إن دخل البيت حتى صاح:

. أين أخي يا مرأة أخي؟

قالت المرأة من بين أضراسها:

. أخوك نائما.

عيط عبد الله كالجحش:

. أخي حبيبي.

قام أخوه مفزوعا يفرك عينيه، تثاءب وهو يرى الجن واقفا يدير عينيه اللوزيتين في أرجاء المكان، حتى أدركت عيناه أخاه؛ قفز ونط في حضنه وهات يا عياط.

ربت على كتفه، وراح يغتسل لينفض عنه النوم، وقعد بعدها يشفط هو وأخوه الشاي.

سأله:

. خيرا انشاء لله؟

. خير؟! من أين؟ أنا لازم أقابل جمال عبد الناصر.

للحظة لم يفهم أخوه العبارة، وفي اللحظة التالية جاءت كل بنات الدهشة ورقصن أمام عينيه، ودفعه ذلك إلى حالة من الجذل والضحك، ولما استطاع بصعوبة أن يوقف الضحك، قال:

ـ تقابل عبد الناصر؟ يا أخي ارحم، استهدى بالله، و احك لي الحكاية من البداية.

. الحكاية يا سيدي.....

قام وأحضر ورقة من ورق العرائض وقلم بسط ومحبرة شيني، وراح يكتب بأسلوب رائع وخط أكثر روعة:

فخامة السيد/ رئيس الجمهورية العربية المتحدة.....

ثم طوى العريضة ووضعها في مظروف، وحط المظروف في جيب سترته المعلقة على الكرسي، وقال لعبد الله:

ـ باكر بإذن الله أرسلها بالبوسطة لمظالم قصر عابدين.

ـ بوسطة؟ على ما توصل يكون الحمار مات، أقول لك المأمور تقول لي بوسطة.

ـ خلاص يا عم، باكر نروح نودعها مناولة في مظالم قصر عابـــــــــــدين.

. لكن.....

. ما باليد حيلة يا عبد الله.

قعد عبد الله الجن على الأرض مكروبا ومن شدة كربه دخن علبة سجائر أخيه بأكملها، ونتف وبر الكليم الصوف، والمرأة تنظر إليه مغتاظة.

نتف نتفة كبيرة من الكليم وعاد يسأل:

. قل لي يا أخي، أيسكن عبد الناصر قريبا من هنا؟

. إيه؛ أ تنتوي زيارته في البيت؟

. لا يا أخي، أقصد مكان عمله.

. آه، أ ستزوره في العمل؟

. لا يا أخي، العلم بالشيء أفضل من الجهل به.

. عمله في قصر عابدين.

. وقصر عابدين كيف يصل الواحد منا إليه؟

ـ يركب قطارا من عين شمس وينزل في محطة كوبري الليمون و.....

. ومتى يكون عبد الناصر في الشغل؟

. في التاسعة صباحا، كفاية دماغي أوجعني، قم تحمم ونام، وربك يفرجها.

قبيل الفجر، نهض عبدالله الجن من نومه، لبس الجلباب التيل، وغسل وجهه، ومشط شعره بأصابعه، ومشي إلى حجرة أخيه، سحب العريضة، وتسلل خارجا من البيت؛ ليبدأ الزحف المقدس.

نزل في كوبري الليمون وشق شارع الجمهورية تجاوز مسجد كيخيا*، ومشي حتى وصل قصر عابدين، وقف بعيدا يشيل قدما ويحط قدما، حتى الساعة التاسعة، شاهد السيارة الشيفورليه السوداء قادمة؛ ثم سمع البروجي ينفخ في بوقه؛ ورأى الحرس الجمهوري يصطف ويعدل من اصطفافه، وهوبه! جري ورمى نفسه أمام السيارة، إن هي إلا لحظة حتى شاله الحرس عن الأرض وشل حركته، وهو يصيح ويلوح بالعريضة:

ـ يـا عبـد الناصـر يـا عبـد الناصـر، الحقنـي يـا ريـس.
نزل عبد الناصر من السيارة، وأشار لهم:

. سيّبوه.

تركه الحرس، قال عبد الناصر:

. تعال .

مشى خلفه، وصعد معه إلى مكتبه، قال له عبد الناصر:

. اقعد.

قال عبد الله من بين أنفاسه المبهورة:

. أقعد؟! كيف؟

. مثلما أنا قاعد..

قعد عبد الله بطرف مقعدته، سأله ناصر:

. لماذا ترتعش ؟

. لأن هذه أول مرة أراك عن قرب هكذا.

ـ طيـب، لكنهـا أول مـرة أراك عـن قـرب ولا أرتعـش، قـل لـي الموضوع.

مد عبد الله يده بالعريضة، قرأها ناصر في صمت، ثم سأل:

. من كتب لك العريضة؟

. أخي.

. تناولت الإفطار ؟

. لا

. معك نقود لترجع إلى البلد؟

. معي فلوس أرجع عين شمس عند أخي.

ضغط على الجرس، دخل ضابط، أدى التحية، قال ناصر:

ـ خذ عبد الله، يفطر ويشرب كوبا من الشاي، بعدها توصله إلى محطة مصر، يركب ويرجع إلى البلد.

. تمام يا افندم.

**

على محطة سمالوط اصطفت تشريفة رسمية في صفوف منتظمة، يقف أمامها المأمور ونائبه ورئيس المباحث ومعاونه، ثم الجند من ورائهم، وخلف الجند يقف لفيف من كبراء البلدة: صاحب الأرض؛ ورجال الاتحاد القومي؛ وفرقة الموسيقي النحاسية لملجأ أيتام (أبيسخرون القليني) *

في اللحظة التي وقف القطار وظهرت أول فردة من الحذاء المعدل ضرب البروجي النفير، وهتف المأمور بصوت منغم ممطوط:

. سلاما سلاح

رفع الجند سلاحهم ودقوا دباشك بنادقهم، وعندما عزفت الموسيقى النحاسية السلام الجمهوري، هاج الناس وتزاحموا وزاطوا زياطا شديدا.

للحظات وقف عبدالله مندهشا، ولم يستطع عقله أن يحل شفرات الموقف، ولما رأى المأمور مقبلا عليه، أصابه الذهول، تجمد في مكانه، وقال لنفسه:

. نهار أسود، المأمور وتجريدة للقبض عليك يا ولد يا عبد الله.

أدار بصره كالنمس في أرجاء المحطة بحثا عن مهرب، فوجد نفسه محاصرا تماما، فكر أن يعود ليركب القطار وينزل في المركز التالي، لكنه قال لنفسه:

. الله غالب؛ اثبت في مكانك يا عبد الله.

صافحه المأمور وشد على يده، وطمأنه:

ـ المسألة خلصت على خير، ممكن تجنى المحصول في وقته، إياك أن تكون غاضبا منا.

ـــ حاجات بسيطة، ربنا يبعد عنا الزعل.

وبينما كان يشرب الشاي في مكتب المأمور، سأله:

ـــ لكن قل لي يا عبد الله، كيف قابلت الرئيس؟

قال عبد الله متعاظما:

ـ أبدا، رحت عند القصر لغاية ما جاءت سيارة الرئيس، ناديت عليه، والرجل مشكورا، والله؛ وما لك عليّ يمين، قام بالواجب، أفطرني وقدم لي كوبا من الشاي، وجعل سيارة توصلني إلى محطة مصر.

قام نائب المأمور، استدار ومشى خطوات قليلة، ووقف عند النافذة ليخفي ضحكه.

جرع عبد الله ما تبقى في كوب الشاي، ثم نهض مستأذنا:

. أفوتكم بعافية.

قال المأمور من بين أضراسه :

. مع السلامة.

بعد أن خرج، استدار نائب المأمور ضاحكا، نظر إليه المأمور غاضبا، وقال:

. شفت ابن ال.....

- البيادة : حذاء له رقبة مصنوع من جلد قوي ينتعله أفراد الجيش.
- بلدة العور بمركز سمالوط: إحدى قرى محافظة المنيا بصعيد مصر الوسطى.
- الملك فؤاد الأول : سلطان ثم ملك مصر الفترة من ١٩١٧ حتى ١٩٣٦ .
- القومندان : تعريب commandant.
- مسجد كيخيا : هو مسجد عثمان كتخدا القازدغلى أو مسجد الكيخيا (١١٤٧هجرية / ١٧٣٤م) ، أحد المساجد التي انشئت في عصر الدولة العثمانية في مصر، يقع هذا المسجد عند تقاطع شارع الجمهورية بشارع قصر النيل.
- أبسخيرون القليني: "اسم" مشتق من كلمتين قبطيتين: "أباّ" معناها "أب"، و "سخيرون" معناها "القوي"، هو أحد شهداء الأقباط على عهد ديقلديانوس.

فاصل من الغرابة ويشتمل على القصص التالية:

١. طائر.

٢ . لا تلعب معه.

٣ . الطريق إلى المتعة.

٤ . مقتطف من يوميات شيخ صغير السن.

٥ . مقام الخروج.

١ ـ طائر.

كنا مئة؛ جيء بنا صغارا من المفرخ، وبعد قرابة شهر من الحضانة تساقط معظم الريش الناعم الذي كان يكسو أجسادنا، وبدأنا في التمايز ذكورا وإناثا، وبعد مضي ثلاثة أشهر بدأت ألحظ أنه كلما جاء صاحب الحوش أخذ معه زوجا أو زوجين منا، وأن تلك الطيور لم تكن تعود مرة أخرى أبدا، ولما سألت صديقي المقرب شركس، هز جناحيه في لامبالاة وقال:

ـ لا تسأل ركز في الأكل، فهو الشيء الوحيد الذي يجلب السعادة هنا.

ذلك ما جعلني أسأل غيري من الطيور الأكبر سنا والأكثر حكمة عن ذلك السر الملغز وراء اختفاء طائر طيب وديع وودود، فلا أجد إجابة بل إن بعضهم زجرني ونقرني نقرة أو نقرتين بمنقاره وهو يصيح:

ـ لا تفسد علينا الطعام، كل وتلةً بالأكل، طائر لحوح مزعج صحيح.

عندها أدركت أمرين: أن هؤلاء الكبار العجائز ليسوا سوى طيور مغفلة غافلة لا تفكر في مصيرها؛ وأن شيئا غامضا أكبر منا يحدد لنا نهايتنا المحتومة.

**

هكذا ظللت دائم التساؤل بيني ونفسي، وقادني تساؤلي إلى أسئلة كثيرة متشابكة ومعقدة، بعضها وجد إجابة؛ وإن لم تكن كاملة إلا أنها إجابة، وبعضها بقى ملغزا عصيا على التفسير، بينما قادني تفكيري إلى إيجاد تفسير مقبول لها، تساءلت:

ـ لماذا كلما دخل صاحبنا أراه يدير بصره فينا، قبل أن يضع يده على واحد منا؟

أدركت بحسي الصادق أنه ينتقي أكثرنا اكتنازا باللحم، فتساءلت:

ـ ومن أين يأتي اللحم ؟

ـ من الطعام الذي نطعمه.

أخذت أقلل من الطعام ولا أخذ منه إلا ما يكفي لأن أبقى حيا، وبعد أسبوع لاحظ شركس شحوبي وانهدام جسدي، سألني:

ـ ما لك يا حزين؟

أخبرته بالأمر فسخر مني سخرية مؤلمة، أحزنتني سخريته جدا، فانزويت بعيدا عنه، أقدم نحوي قاصدا أن يطيب خاطري؛ في نفس اللحظة التي دخل فيها صاحب الحوش، أدار بصره فينا، ثم مال وأمسك بشركس، تحسس جسده وارتسمت على وجهه ابتسامة ظفر، رأيته يرتعش بين يدي الرجل، ولم ينطق حتى بصيحة وداع.

**

ازددت نحولا من جراء قلة الأكل، وقادني النحول إلى صفاء داخلي غريب، وبدأت أنظر كثيرا إلى السماء الزرقاء

البعيدة، أدير بصري فيها وأرى طيورا كثيرة تحلق فوقنا، وقلت لنفسي:

ـ طوبى للطيور التي تطير؛ لأنها طيور سعيدة،لا يستطيع أحد أن يمسك بها.

أخذت أفكر في الطيران لألحق بهذه الطيور، لا أذكر الآن متى بدأت تجاربي على التحليق، لكن ما أذكره هو مرات السقوط التي كانت تسبب لي كثيرا من الألم كلما نهضت أنفض ريشي في محاولة لمعالجة ما أصاب جناحي من جراء السقوط.

بعد عدة مرات من المحاولة والفشل أدركت أن الطبيعة لم تجهزني للطيران، وأنني لست أكثر من طائر بائس من الطيور الداجنة البسيطة قصيرة الجناح والحول، فكففت عن المحاولة.

**

في ذلك الصباح؛ ما حدث كان مثارا للعجب، عندما سمعنا الباب يُفتح؛ وجدنا أمامنا امرأة سمينة ضخمة قوية البنيان، وجهها

أحمر ـ ربما من كثرة اللطم ـ وجفناها مقروحتان من أثر البكاء، كانت تصحب معها طفلة متسخة الثياب؛ تحمل دلوا به طعام، بدأت في توزيعه على أوعية المآكل، بينما جلست المرأة على قفص من جريد أز تحت ثقلها أزيزا جعل البنت الصغيرة تضحك، رمتها المرأة بنظرة قاسية ألجمتها، وأخذت تجفف دمعات كبيرة انزلقت على خديها وهي تنتحب:

ـ كل شيء ضاع.

قالت لها الصغيرة:

ـ شدة وتزول يا ستي، غدا ينهض سيدي كالحصان.

**

في مطلع مجيئها استبشرنا خيرا، إذ لم يعد طير يختفي، وعدت لتناول الطعام في نهم لأعوض ما ضاع عن جسدي من قوة وفتوة، ثم حدث تغير كبير بل رهيب؛ جاءت تلك المرأة البشعة حاملة آلة حادة تسميها سكينا، أغلقت باب العشة علينا وأمرت

خادمتها بالبدء في المطاردة، وكلما أمسكت واحدا منا ناولته لسيدتها لتعمل فيه السكين ثم ترمي به على الأرض، يرقص المسكين رقصة المذبوح، يتطاير من زوره المقطوع رشاش من الدم ويلوث وجه المرأة، تمسح بظهر كفها وجهها الذي تضيئه نشوة وحشية وهي تصيح به:

ـ والله ترقص ما ترقص راحت عليك.

أبصرُ الجسد يهمد ونور الحياة وهو ينطفئ في العينين فيرتجف قلبي.

**

كان مشهد كل طائر يذبح فيفقد رواء الحياة من جسده ومرأى الدماء يجعلان أحشائي تتمزق، حتى عافت نفسي الأكل مرة أخرى، وتيقنت أكثر فأكثر من أن تناوله يجعل الجسد يمتلئ باللحم والشحم ويثقل الحركة ويُسهِّل اصطياد الضحية، والأكثر أنه يعوق الجناحين عن رفع الجسم عند محاولة الطيران.

بدأت أفقد وزني سريعا وأنا أرى أعدادنا تتناقص من جراء السياسة الغاشمة التي أدارت بها تلك المرأة اللعينة الأمور، فهي لم تكن تقتني أفراخا صغيرة غير تلك التي تقتلها.

**

عدت إلى محاولات تعلم الطيران، لكنني في تلك المرة كنت أكثر إصرارا ودأبا، تحملت الوقعات المؤلمة، وتعلمت أن أقف على قفص لأقفز في الهواء وأضربه بجناحي مرات سريعة متتالية محاولا إبقاء جسدي في الهواء أطول مدة ممكنة.

**

كان الغروب يجيء كل يوم ومعه الخادم الصغيرة ويأمرنا بأن نبيت؛ فنمتثل له، وعندما يغلق علينا الباب، لم أكن أكف وحدي عن المحاولة وأنا أهمس:

ـ تمام النجاح في تمام المداومة، هب؛ واحد اثنان ثلاثة.

آه، نجحت أن أبقى لدقائق محلقا في الجو.

**

في ضحى ذلك اليوم، جاءت المرأة والخادم، سمعتها توجه الكلام لخادمتها، قالت لها آمرة:

ـ قبل آذان العصر يكون الطعام معدا، فاهمة؟

هزت الخادم رأسها، ثم بدأتا مذبحة طارت فيها رقاب ما يزيد عن عشرة منا، كاد الرعب الذي أمسك بي يشل أوصالي ويضيعني، مدت يدها وأمسكتني، قلبتني في يديها وتحسست عظامي البارزة، ثم ألقت بي وهي تقول:

ـ إنه لا يصلح.

ارتميت في الركن ارتجف.

**

لم يعد هناك سواي وعدة طيور مريضة، كنت أفضلها حالا، سمعت الباب الخارجي يفتح، وظهرت المرأة بجسدها الضخم ووجهها اللحيم، قالت موجهة كلامها إلى:

ـ أنت لا تزيد ولا تنقص، تعال.

مدت يدها في محاولة لاقتناصي، قفزت من فوق رأسها، استدارت بصعوبة وهي تدمدم في غضب:

ـ تعال يا ابن.....

طرت مرة أخرى ووقفت على أفريز النافذة، تسحبت المرأة في مكر ومدت يدها لتمسك بي، انفلت منها وطرت بعيدا بينما وقفت المرأة تفتح فمها في ذهول.

وها أنا الآن أروي لكم القصة بصدق بينما أضرب الهواء بجناحي محلقا في الفضاء.

**

٢ـ لا تلعب معه.

كان ماشيا عائدا من زيارة قريب مريض، مر في طريق عودته للبيت بخرابة (تربط فيها القرد يقطع *) هناك وجد رجلا في حالة يرثى لها، كان قاعدا على الأرض، تأمله وهو مقبل عليه، رأي علامات ضرب مبرح على وجهه، فأثار ذلك الشفقة في نفسه، قال هامسا:

. مل عليه ربما استطعت المساعدة في شيء يأخذ بيده.

اقترب منه أكثر، وجد شخصا إما إنه الشيطان أو قريب له من أقارب الدرجة الأولى، فانتفض مرتدا للخلف، لكنه بما استقر دائما في ضميره من قول ردده دائما لنفسه:

. لا تأخذ الناس من وجوهها، خذها بقلوبها.

أما في تلك الساعات التي يصيبه فيها اليأس منهم؛ فإنه كان يردد لنفسه:

ـ لا تأخذهم من وجوههم ولا قلوبهم، لأنك لست بأفضل منهم، خذهم من أقفيتهم، لكي لا ترى عيوبهم ولا يرون عيوبك.

هكذا قر عزما واقترب أكثر من الرجل الجالس على الأرض، وسأله:

. ما لك يا عم؟

قال له:

. ما تخليك في حالك أحسن.

. الناس للناس.

ـ يا جدع ابتعد عني وسبني في حالي؛ أنا الشيطان.
أمسكت به رعدة، لكنه تماسك متعجبا جدا، وقال متسائلا:
ـــ أ أنت سعادة جناب سمو الشيطان نفسه؟!
. نعم، أتراني كذابا أفاقا حتى أدعي ما ليس بي؟

همهم الرجل؛ وقال:

. صحيح معك كل الحق، يا سلام على الضمير الحي الذي تتمتع به الشياطين في أيامنا هذه، خلافا لشياطين الزمن الماضي أو لقواعد الشيطنة المرعية، هكذا يكون اللعب على المكشوف، أنت إذن الشيطان نفسه، لكن ما الذي دهاك حتى جربعت* وبت من

البؤس ورثة الحال بمكان؟ وما تلك الندوب والجروح التي تزين وجهك الجميل؟

ـ البشر أولاد ال.....، أهناك غيرهم، كلما نزلت أعمل شغل ـ ذلك لأنني أعمل شيطانا باليومية ـ أجد مخلوقا بشريا لا يساوي قرشين خطف الشغلة مني، وعملها بإتقان تحسده عليه كبار الشياطين، أو تراني واقعا مع حاذق أريب له في أمور الشيطنة باع طويلة، يكشف لعبتي ويفسدها على، عندها يقوم المعلم بشطب يوميتي، هذا غير الضرب والعذاب اللذين يوقعهما بي.

. طيب؛ أعطني مثالا حيا.

. اسمع يا سيدي؛ سأخبرك بقصة على السريع، من شهر؛ كنت شغالا على امرأة رجل طيب، كرهتْ فيه الطيبة وحسن النية، الحقيقة بنت حلوة، حاجة تشبه المهلبية* طراوة ولذاذة، رميت لها واحدا صاحبا لزوجها، لا يفترق عني كثيرا مظهرا ومخبرا، يعني شكله يقطع الخميرة من البيت، صوّرته لها لتراه مثالا للرجولة التي تتمناها، ومن نظرة إلى ابتسامة ثم موعد ولقاء، وقعا بعدها في عشق مشبوب وغرقا في بحور العسل، ووسوسةٍ وراء وسوسة ثم

وسوستين متتاليتين؛ لعبت بدماغيهما، وزينت لهما أن يقتلا الزوج فيخلو لهما الجو، عندها انسحبت في هدوء حتى لا أشيل ذنبهما.

همهم الرجل:

. يا للعبقرية ؛ إنك لتخدع الشيطان نفسه، هكذا هي الشيطنة وإلا فلا، ها؛ اكمل.

هزه المديح (أو هكذا خيل للرجل) ابتسم في فرح، وواصل:

ـ انتحيت بعيدا أرقبهما وهما يضعان خطة التخلص من المسكين، باستدراج الرجل الطيب بدعوى شراء قطعة أرض، ليأتي معهما في سيارة العاشق، والسير به في طريق تكثر فيه الزراعات والأشجار؛ ثم قتله والتخلص منه برمي جثته في مصرف من مصارف المياه، وقبل التنفيذ بساعات اشتغلت قريحة عشيق الزوجة، اكتشف اللعبة، وشتمني قائلا وهو يتميز غيظا:

. يا ابن الحرام، أسنلعب على بعض؟ تريد أن تُذهب بثلاثتنا في داهية، طيب طيب، سأشكوك إلى بعلزبول* نفسه.

رجع للزوجة وأقنعها وقال لها:

. لِم القتل؟ سيكون ذلك غباء منا، إن زوجك غطاء لأفعالنا، كما إن الرجل لم يعترض، ذلك غير حلاوة العشق المحرم وجنونه وطعم المغامرة فيه، يا ست سيبك من هذه اللعبة الخطرة.

بعدها اتصل بشيطان معرفته، واشتكاني عنده لكبير الشياطين، ضُربت حتى عميت من الضرب، وأخذت لفت نظر.

همهم الرجل مفكرا وهو يراه ينظر إليه نظرة متوسلة كمن يبحث عن حل، قال يواسيه بلهجة أبوية:

. لا تبتأس ولا تحزن أخي الشيطان الصغير البائس، هناك خطآن في أسلوبك وفي آلية عملك.

. خطآن؟ كيف؟

. أنت تعلم جيدا أن أذهاننا تقود أفعالنا.

ـ هذا ليس صحيحا تماما، الإنسان تقود غرائزه أفعاله من لحظة استيقاظه إلى منامه، تراه بعد أن ينهض؛ يذهب ليتخلص من أدران جسده، فإن لم يفعل يظل طوال يومه محسورا، ثم يخرج للعمل مضطرا بحثا عما يقيم أوده إن كان فقيرا محتاجا لذلك، أو بحثا عن المال والثراء إن كان غنيا، ثم هو مدفوع بغرائز الجنس والأبوة والأمومة، يسعى لقضاء وتره، وينعكس ذلك كله في صور

ذهنية في محاولة منكم أيها البشر البؤساء للتسامي أو خداع النفس خذ مثلا: أنتم تسمون الميل إلى ممارسة الجنس حبا، هذا ما يترك فجوة كبيرة بين الحقيقة والوهم، تلك الهوة هي ما أتسلل منها إليكم (صمت لحظة، جفف عرقه، ثم واصل) ومع ذلك ما دخل ذلك بمشكلتي؟

ـ أولا أنت لا تقرأ، يجب ان تقرأ لتتعرف على نماذج من أساطين الشر مثل: موفستوفيليس* شيطان فاوست، وياجو شيطان عطيل، والسيدة الفاضلة ذات الدواهي.

قال متأففا ضجرا:

ـ أنا لا احب القراءة، أنا شيطان عملي.

ـ جميل جدا، دعك من القراءة، هناك ثقافة اخرى سائدة الآن، ثقافة المشاهدة، أتشاهد أفلام؟

رد مرتبكا:

ـ أحب الأفلام العربي القديمة.

ـ آه، قلت لي، هنا يكمن الخطأ الكبير.

. وما الخطأ في ذلك؟

ـ أنت شغال على استايل عتيق عفا عنه الزمن والناس والتاريخ، استايل الميللو دراما الموجود في الأفلام العربي القديمة، مثل (الأستاذة فاطمة) * ذلك لم يعد له نفع، يجب أن تجدد لتبدع، ابدأ في الفرجة على الأفلام الأمريكي، يا أخي؛ الأمريكان أنتجوا في هذا المضمار شغلا هائلا في السينما، أفلام عن الزومبي؛ وعن داركولا، وفرانكشتين ودكتور جيكل ومستر هايد*، أقول لك: تفرج على (Devil Advocate) لألفريدو باتشينو، وانظر كيف تكون الشيطنة بأصولها المرعية، أظنهم يعلمون الشياطين أنفسهم ويسخرون منكم.

بدا الشيطان مهتما، وتساءل:

. وما الفرق بين هذا وذاك؟

أشاح الرجل بوجهه متعاظما متعالما متعاليا، وقال:

ـ أنت تبدو شيطانا غشيما لا تدرك إلا القشور من معنى الشر، خذ مثلا الفلم العربي (الأستاذة فاطمة) إنه يقوم بتصوير الشر من خلال حادثة شريرة يوقعها الأشرار برجل طيب غرير، مجرد

موقف جزئي، بينما الطيبون كثر، أما ذلك الفلم فيقدم الشر على إنه مفهوم والشيطان بما هو مطلق يمسك بالعالم كله؛ ويدخله في صراع مع الخير المطلق، والأخيار قلة، هكذا تكون الشيطنة وإلا فلا.

مصمص الشيطان بشفتيه متعجبا، وقال:

. تبدو ضليعا في الشر وعلى جانب من خبرة كبيرة بأبوابه السبعة، مع إني لم أفهم شيئا من كلامك، لكني معك بإحساسي.

قال الرجل متأسفا:

. طبعا أنا خبرة شيطنة لكن بمفهوم السلب.

. بمعنى؟

ـ بمعني أنني كنت دائما ألعب دور الضحية، حتى اكتفيت ركلا وخوازيق و....

عندها قعد الشيطان على الأرض يضحك، وقال وهو يزوم كحيوان كاسر:

ـ أضحكتني يا جدع وأنا حزين، هكذا الواحد يستطيع أن يقوم ليعمل بمزاج رائق.

قام من مكانه، وقال:

. طيب، أروح أحضر شنطة العدة؟

تعجب الرجل وتساءل:

. شنطة العدة؟ ! ماذا بها؟

ضحك اللعين ضحكة صفراء لعينة، وهمس:

. بها أقنعة من كل لون ؛ وأزياء من كل مذهب ومشرب، لأتمثل كيفما أريد، تراني مرة امرأة تتعهر؛ أو رجلا داعرا يفسق؛ أو أفاقا محتالا يزين للناس بضاعته المزيفة كأنها كنز مخبوء؛ أو طبيبا يوهم مرضاه بقدرته على شفائهم ثم يبدأ في مص دمائهم، باختصار الأدوار كثيرة، لكن مُعامل الارتباط فيها جميعا هو أن أبدو جميلا براقا، أخطف الأبصار وأسحر الألباب وأمتلك القلوب.

فتح الرجل فمه من الدهشة، وود لو قال له (يا ابن الحرام)

ثم سمعه يقول له بصوت حلو عذب دوخ عقله:

. ممكن تخللي هذا الكيس معك.

تساءل الرجل متوجسا:

. كيس؟! ماذا به؟

ـ لا تخف هكذا وتبدو هرارا، كل ما هنالك بعض سندويتشات كانت الست أم أباليسو جهزتها لي.

. ممكن، ولم لا؟ الناس للشياطين كما إن الشياطين للناس.

أخذ الكيس منه، ووقف يتابعه وهو يمضي مبتعدا، ولم يدرِ لِم أمسك به فجأة جوع قارص، لعب في معدته وعضه بنابه.

من بعيد وسوس له:

. افتح الكيس يا خسيس.

لولا بقايا من حرص قديم تركته فيه التجارب المريرة؛ أخذه إلى إلهام غامض جعله ينظر داخل الكيس قبل أن يمد يده . لما أبصر حزمة من عقارب سوداء تبصبص بحماتها في الهواء ومن تحتها لفة من ثعابين تلوت وهي تفح وتنفث سمومها، أمسكت جسده رعشة جعلته يرمي الكيس ويندفع جريا، يصاحبه صوت ضحكة

كلها سخرية، وصيحة مدوية تأتي من خلفه، ترن في الفضاء وتصم أذنيه:

. لا تلعب معي أبدا، أيها المغفل الكبير.

- تربط فيها القرد يقطع : مثل مصري يفيد الخراب وشدة وحشة المكان ورهبته.
- جربعت : نسبة إلى حيوان الجربوع الذي يشبه الفأر، ويضرب به المثل على ضعة الحال والبؤس.
- المهلبية : نوع من الحلوي المصرية يشبه الجيلي مصنوع من نشا الذرة والماء والسكر واللبن.
- بعلزبول : أو بعل القاذورات هو رئيس الشيطان بحسب الأناجيل وما ورد في التراث المسيحي.
- موفستوفيليس : الشيطان الذي عقد معه د. فاوست صفقة بحسب مسرحية الشاعر الألماني يوهان جوته.
- ذات الدواهي : امرأة ورد خبر شرها وحكاياته الماتعة في ألف ليلة.
- دكنور جيكل ومستر هايد فلم أمريكي مأخوذ عن رواية للروائي الانجليزي روبرت لويس ستيفنسون، أُنتج عدة مرات أشهرها إنتاج ١٩٤١ بطولة سبنسر تريسي ولانا تيرنر وانجريد برجمان وإخراج فيكتور فلمنج.
- (الأستاذة فاطمة) فلم مصري إنتاج عام ١٩٥٢ بطولة فاتن حمامة وكمال الشناوي؛ إخراج فطين عبد الوهاب.

٣ـ الطريق إلى المتعة

لم يكن الرجل الريفي يظن وهو جالس عند حلاق القرية يرنو إلى انعكاس وجهه في المرآة المثبتة في الحائط المبني باللبن؛ إنه سيعيش تلك الأحداث الغريبة التي حدثت له بعد أيام قليلة.

**

خفض الحلاق رأس زبونه، وأعمل الموسى في الشعيرات القليلة النحيلة التي تكسو مؤخرة عنقه، ومشى بفرشاة بودرة التلك على القفا، ثم مد أصبعيه إلى الذقن وفحص قصة الشعر، وقال للفلاح مداعبا:

. نعيما، والله، عريس ومن حقك يا عم أن تعرس الليلة.

. شكرا يا مطاوع.

نهض وهو ينفض بقايا الشعر العالق بجلبابه، مد يده إلى خرجه، وأخرج كيسا به قدر قدح من الشعير؛ ناوله للحلاق الذي ودعه حتى باب المحل.

**

الآن؛ بعد شهور من التجهز لرحلته سرا، اكتمل استعداده للهبوط إلى المدينة البعيدة، ربت بكف يده على حافظة نقوده الكبيرة التي تنام في جيب صداره الداخلي، فأصابه ذلك بالطمأنينة، همس لنفسه:

. النقود هي الصديق الوحيد الوفي الذي يحمي الانسان من الفقر والمرض.

بعد مسيرة ثلاثة أيام وصل إلى المحطة القديمة التي أنشأها جيش الاحتلال بمظلتها الخشبية الكبيرة، وقف يراقب الطيور المهاجرة وهي تقعي على أطراف المظلة، دائما تجيء إلى البلدة في نهاية الخريف وتظل حتى مطلع الصيف، تبعث الذكور ألحانا منغمة للإناث لتبث إليها أشواقها الحارة، وتغزل منها شباك حبها لتوقعها في حبائلها.

أهاجت نداءات الطيور الأشواق في قلب الرجل الريفي، فأغمض عينيه وغرق في أحلامه العذبة بنساء المدينة البعيدة.

ذهب إلى شباك قطع التذاكر، وحصل على تذكرة، ثم عاد ليجلس على الأريكة الخشبية في انتظار مجيء القطار.

داعب الوسن عينيه، وأخذه إلى غفوة قصيرة قبل أن يوقظه زعيق صافرة القطار، انتفض في مكانه وعاود الاطمئنان على شيئين: حافظة نقوده وخرجه الذي جمع فيه أشياءه.

ركب القطار، جلس بجوار النافذة، ودس خرجه بين قدميه، وهمس لنفسه: النوم يقتل المسافات في الزمن.

ثم أسلم مرة أخرى عينيه للنعاس وغط في نوم عميق، وسرعان ما تداعت إليه الأحلام، رأى نفسه في حدائق القصر الملكي يمشي بين صفوف من الأزهار اليانعة المتعددة الألوان، ومن خلفه وأمامه وبجانبه صفوف أخرى من الغيد الجميلات، يتراقصن من حوله ويغنين له، سبح في أحلامه، وارتفعت به إلى مقابلة الوجه الملكي الكريم اللحيم، تماما كما رآه في المجلات المصورة الحائلة إلى صفرة أصابها بها الزمن والقدم، انحنى يقبل الكف الملكي الممدودة إليه، غير أن زعيق صافرة القطار دوى في أذنيه معلنا الوصول إلى محطة النهاية؛ فأفزعه وأيقظه من نومه.

تمطى وفرك عينيه بكفيه، قال له الرجل الذي كان يجلس قبالته:

. هنيئا لك كل هذا النوم يا رجل.

ابتسم له شاكرا، وقال:

. حمدا لله على السلامة.

**

ها هي المحطة الرئيسية للقطارات بالعاصمة تضج بأصوات محركات القطارات التي تستعد للرحيل، بينما تذيع مكبرات الصوت مواعيد الرحلات وتنبه عن قرب انطلاق رحلة منها، نظر منبهرا إلى كل هذه الحشود من البشر وهم يتحركون في عجلة، وصعد بعينيه لينظر إلى الزوايا الحديدية وقد جُمعت إلى بعضها؛ لتحمل المظلات الكثيرة التي تغطي المحطة كلها، ثم بدأ في التحرك نحو أحلامه، سيبدأها بزيارة الحدائق الملكية.

خرج من المحطة، فأعشت شمس ذلك النهار القوية عينيه، مال على واحد توسم فيه الأريحية، سأله:

. كيف لي أن أذهب إلى الحدائق الملكية؟

نظر إليه الرجل متعجبا مندهشا وبدا كأنه لم يفهم السؤال، فأعاد الرجل الريفي السؤال عليه:

. أود أن أذهب إلى القصر الملكي.

ارتسمت ابتسامة كبيرة على وجه الرجل وازداد العجب، عاد بجسده خطوة إلى الخلف ليشاهد ذلك المخلوق القادم من خلف الأزمنة، سأل ليتأكد من ظنونه:

. أتسأل عن القصر الملكي ؟

. نعم.

ندت من الرجل صيحة تعجب، انقلبت إلى ضحكة مجلجلة، أصابت الرجل الريفي بالارتباك والحرج، لكنه سأل:

. وما في هذا؟

. الملك خُلع عن الحكم منذ عدة عقود.

. لا بأس، لابد أن ملكا جديدا اعتلى العرش بدلا منه.

. لم يعد هناك ملك في هذه البلاد.

. كيف؟ أيمكن لبلد أن يكون بلدا بلا ملك؟!

. يا عم من أي حقب التاريخ أنت؟ لقد قامت ثورة نزعت الملك عن كرسيه، وتغير نظام الحكم وأصبح جمهوريا.

ـ جمهوريا؟! كيف؟ أكل هذه الجماهير تحكم البلد معا؟ ألا إنها الفوضى.

. هي كذلك، إنها الفوضى.

. والقصر الملكي من بات يسكنه؟

. رئيس الجمهورية.

. آه قلت لي، ملك جديد إذن.

. هو كذلك.

. إذن لا فرق بين ملك ورئيس.

ـ صدقت في هذه البلاد لا فرق بين زيد وعبيد، لكن قل لي من أين جئت؟

ـ أنا من قرية خلف الجبال، لا تسوء بها الحياة سواء أكان من يحكم هذه البلاد ملك أو رئيس.

. جميل جدا، أنت إذن مبعوث هذه القرية لرئاسة الجمهورية؟

. لا، أنا جئت لأستمتع بزيارة المدينة.

نظر حواليه متلفتا وهو يربت بكفه على صداره عند القلب تماما مطمئنا على حافظة نقوده، وقال:

. لا أخفيك سرا، لقد رأيت عند حلاق القرية صور لنساء جميلات كالورود اليانعة، فقررت أن أجيء إلى المدينة بعد أن بعت محصول عجوة التمر الذي كان هذا العام وفيرا.

زم الرجل الأريحي شفتيه وهمهم، ثم قال:

. جئتَ إذن لتستمتع.

. نعم، أيمكن أن تشير على ببيوت تبيع المتعة؟

ـ بالطبع، يمكنني مساعدتك، أُنظر إلى تلك البوابة العريضة هناك، أتراها؟

. نعم، أراها جيدا.

. اذهب إليها، وستجد هناك خلف مصراعيها المتعة كل المتعة.

. أحقا؟

. بلا شك، بل هي متعة مضاعفة خبرتها بنفسي، هذا ما يجعلني أوصيك ألا تفلتها.

بعد كثير من التشكرات توادعا الرجلان، وتمنى الرجل الأريحي للرجل الريفي كل الهناء والحظ السعيد.

**

هكذا مضى الرجل الريفي في سعيه نحو السعادة، وراح يرقب أجساد رجال تلك المدينة، فلم يسره مشهدهم، كانت لا تماثل تلك الوجوه التي عرفها طيلة سني عمره في قريته البعيدة خلف الجبال، هنا كانت الوجوه غاضبة والجباه مقطبة، والعيون تضج بنظرات أرواح ترزح تحت ثقل هائل من الألم والتعب والآمال الضائعة المفقودة، تحملها أجساد غير متسقة الأبعاد، تمشي كأنها تهرول للحاق بشيء ما، انصرف عن مراقبة وجوه الرجال إلى وجوه النساء، كانت وجوههن أكثر غضبا وحزنا، وعيونهن تحمل

نظرة عتاب دائم على الحياة التي يعشنها كأنها هم مقيم يحملنه على أكتافهن، ومع ذلك عندما التقت نظراته بنظراتهن؛ كن قادرات على مواجهته بنظرات ساخرة مشوبة بالازدراء، مما جعله ينكمش ويلملم حاله ويمضى مسرعا نحو الباب الكبير.

**

مد الخطو نحو البوابة التي تختبئ خلفها الأحلام، حتى وقف عندها، كانت هناك صندوق صغير معلق إلى أحد المصراعين، اقترب الريفي منها وراح يقرأ ما كتب عليه من كلمات:

. أيها الرجل الذي جاء إلى مدينتنا يبحث عن المتعة والإثارة، ضع ما يمكنك دفعه من نقود في الصندوق، وادخل لتحصل على نصيبك من الإمتاع.

تلفت حوله في حرص، ثم أخرج حافظته، وفي مكر ريفي جذب أقل الورقات النقدية قيمة ووضعها في الصندوق، فإذ بصوت موسيقى تصدح مرحبة به، أصابه ذلك بطرب بالغ، فابتسم ابتسامة كبيرة بلهاء.

سمع صرير مصراع الباب وهو ينفتح أمامه، دخل بلا تردد، وما إن فعل حتى انصفق دونه بقوة أرعبته.

مشى بخطوات وئيدة متمهلة، وأجال البصر في المكان، لم يكن هناك شيء سوى بلاطات كبيرة سوداء وبيضاء تشبه رقعة الشطرنج، خطا فوقها مذهولا، همهم:

. وما المتعة في هذا؟

لم يكن هناك سوى الصمت وحده يحيط به من كل جانب.

**

فكر الرجل الريفي، وانتهى به التفكير إلى العودة من حيث جاء، استدار عائدا نحو البوابة الكبيرة، هناك وجد صندوقا معلقا، اقترب منه، قرأ والحيرة تتملك قلبه:

ـ أنت أيها الرجل الذي جاء يبحث عن المتعة والإثارة، ضع ربع ما تملك من نقود في الصندوق، وادخل لتحصل على نصيبك من الإمتاع.

مد يده لحافظته، وهو يبتسم هامسا:

. يا أولاد ال.....، تمكرون بي، لكن لنرَى، سأدفع.

رَبّع ما معه من نقود ووضع رُبعها في الصندوق، وللتو انفتح مصراع الباب، وعزفت له الموسيقى مارش ترحيب كبيرا، لكن ذلك لم يدفعه إلى الطرب بل أهاج داخله شكوكا جعلته يتردد لحظة، قبل أن يحزم أمره ويخطو داخلا.

مرة أخرى؛ انصفق الباب خلفه، فأصابه نوع من الرعب، هدّئ من مخاوفه، وهمس لنفسه:

. لا بد أن ذلك جزء من قوانين اللعبة.

للمرة الثانية لم تدرك عيناه سوى الفراغ والبلاطات البيضاء والسوداء المرصوفة أمامه كلوحة شطرنج.

دون أن ينتظر طويلا اتجه نحو الباب ليخرج وينتهي من هذه اللعبة السمجة، لكنه وقف عند الباب، وقرأ:

. أنت أيها الرجل المسكين لم تصبر لتحصل على المتعة والإثارة، عليك أن تضع نصف ما معك من نقود في الصندوق؛ وتدخل عالما مثيرا مليئا باللذات كلها.

قال لنفسه:

. الأمر لله.

مرة ثالثة؛ أخرج حافظته، انتصف ما معه من مال، ودفع به في الصندوق.

هكذا انفتح مصراع الباب على آخره، ولما مشى داخلا؛ سمع دق طبول أفريقية وصيحات ترحيب قوية، التزم الصمت ولم يبد فرحا أو ألما، وأجال البصر في المكان وجد حورية من حوريات الجنة ترفل في ثوب شفيف لا يخفي عن البصر شيئا، كانت تتكئ على شيزلونج، أومأت له برأسها، وأشارت إليه بأصابعها الطويلة، وهمست له:

. تعال.

مشى إليها كالمنوم، ولما اقترب منها، اعتدلت، مد ذراعيه ليمسك بها، انفلتت منه، وأرسلت ضحكة غنجة دوخت عقله وذهبت بما تبقى فيه من صبر، مد ذراعيه مرة أخرى ليمسكها، راغت منها، ثم مشت أمامه بخطوات تتثنى في دلال، مشى

خلفها، وكلما أسرع الخطو ليلحق بها، جرت منه، فيجرى خلفها، أخذته ودارت به عدة دورات، وكلما تملكه اليأس، توقفت.

عند البوابة وابتسمت له مشجعة، أخذه الأمل إليها؛ تقدم نحوها متلهفا فاتحا ذراعيه، حتى كاد يدركها، تتفلت من بين يديه، مرة إثر مرة حتى دوخته، ثم مرت كما يمر الشعاع من البوابة، واختفت عن ناظريه.

سقط على وجهه يبكي ويضرب الأرض بكفيه، وهتف بصوت مدو:

. الرحمة، لقد لقيت ما يكفي من مومسة نفسي.

لكن أحدا لم يجب نداءه، امتلك اليأس روحه، وأخذته الحيرة، ولعب به الخوف كما يلعب القط بالفأر، وظل على ذلك الحال حينا، حتى استطاع أن يمسك بلحظة أمل واحدة راودته إذا وجد نفسه مرة أخرى أمام الصندوق المعلق إلى المصراع قرأ في صمت:

. ادفع كل ما معك، لتخرج من هنا وتستمتع.

بـلا تـردد وضـع حافظتـه كلهـا فـي الصـندوق، مـرت لحظـات قاسية قبل أن ينفتح الباب، وتركله قدم هائلة، ليجد نفسه جالسا في نفس القطار العائد به إلى قريته الواقعة خلف الجبال البعيدة.

٤ ـ مقتطف من يوميات شيخ صغير

١ . يا ربي بعد كل هذه الأعوام استطعت أن أرى الحقيقة واضحة، إن الحياة بعد المائة عام الأولى لا لزوم لها.

**

٢ . بالأمس ذهبت إلى الشفا خانة، كان بي بعض تعب خفيف من جراء داء السكري والضغط والنقرس وهشاشة العظام، وقع الحكيم الكشف على، وقال لي:

. ستحتاج إلى عمل عملية قلب مفتوح.

فتحتُ صدري وأخرجت قلبي وضعته على طاولة العمليات، فعلت ذلك وأنا أمسك بمفاتيح سيارة السبق في يدي استعدادا للرحيل، وقلت له:

. سأعود في المساء لآخذه.

فكر قليلا، ثم قال: لا؛ انتظر، سأصلحه فورا.

غاب بضع دقائق وعاد حاملا مطرقة خفيفة، دق بها على قلبي عدة دقات، كنت أتألم خلالها:

. أي، أي، كن رفيقا بي.

لم يعبأ بأناتي، رأيته يمسك بقلبي ويعاينه، قال:

ـ كان به سدد خفيف وقليل من الصدأ، لكنه الآن بحالة جيدة، أُنظر.

نفخ فيه، فأصدر القلب لحنا عذبا، ابتسمت له، أخذته منه، وقبل أن أعيد وضعه في مكانه قربت شفتي منه ونفخت في بوابته فأصدر نفس اللحن العذب، ازددت ابتساما، وقربت أذني لأسمع دقاته وأطمئن لضبطه، كان هناك دقة غائبة، أدركت أنني وقعت من جديد . أعني للمرة الثانية عشر. في الحب (فأنا أحب كل عقد مرة) .

**

٣ . كل صباح أفتح النافذة التي تطل على شرفتها، وأتنسم عطرها الذي يغطي المدينة كلها إذا ما استيقظت، أما إذا أطلت فأنني أرى ما فعلته بالحياة، إنها تمنحها ألوانا زاهية وتبعث فيها موسيقى خفية تلعب بعقلي وتحير قلبي وتعصف بروحي، ذلك ما يجعلني أتمنى:

. ليت ذلك الطبيب ما أصلحه.

**

٤ . قلت لأمي:

. ماما.

رفعت رأسها إلى متسائلة، قلت في حياء:

. أنا أحب.

تساءلت:

. تحب من يا مضروب؟

. ابنة الجيران.

. الحب لم يعد كما كان في زمننا، الحب الآن إيقاعه سريع جدا، لأنه كلما ضاق الوقت تسارعت الرغبات وغلبت الغرائز العاطفة، يمكن أن تحب اليوم وتنسى غدا.

قلت:

. لكن عاما مضى وأنا أحب.

قالت:

. الحب بعد العشرين سنة الأولى التي تعقب المئة عام الأولى من العمر خطير جدا على الرجل.

. الرجل فقط؟

ـ طبعا، النساء خلقنا للحب، لذلك تستطيع المرأة أن تحب حتى الخمسين سنة الأولى بعد المائة الثانية، بل الحب ضروري لقلب المرأة وحياتها.

قالت وأعطتني حبة بندق صغيرة كانت قد امتصت الشكولاتة التي تكسوها، ابتلعت البندقة بجرعة ماء وأنا أقاوم الدموع التي أشرقت في عيني.

**

٥ . استدرتُ وأنا أهمهم:

. إذن لا فائدة.

هكذا قلت، لكنني عنيد جدا، هززت رأسي، وقلت أحاور نفسي:

. يجب أن تفعل شيئا كبيرا كي تثبت أنك جدير بالحب.

. شيء مثل ماذا؟

ـ اكتب لها قصائد شعر وعلقها على شجرة الكافور السامقة التي تضرب بجذورها أمام بيتها.

أخذت أدبج قصيدة عشق تحمل كل تباريح الهوى التي تعتمل داخلي، ولما انتهيت لبست طرطوري وأفضل جلباب لديّ، ونزلت حاملا القصيدة وبعض مسامير ومطرقة لأثبت قصيدتي على الشجرة، وبينما كنت أفعل ذلك، جاء بواب البناية التي تسكن فيها حبيبتي، وكان شابا في التسعين من العمر، قال:

. إيه، أنت ماذا تفعل ؟

قلت:

. ماذا أفعل ؟! أعلق قصيدة حب.

اقترب أكثر، وراح يقرأ، ثم بكى، كان هو الآخر قد برح به الحب، ربت على كتفه أواسيه، وجلسنا نبكي سويا ونشرب الشاي.

**

٦ . في المساء ربت بابا على كتفي، وقال في تحنان بالغ:

. أنا أعلم ما بك جيدا، لا تجعل الحب يؤثر على مستقبلك.

. أي مستقبل لي بدونها ؟

ـ لا تبكت نفسك هذا التبكيت المؤلم، ولا تدع نفسك لأحزانك، في الحياة منفسح لأشياء أخرى كثيرة يفعلها الشاب غير الحب، يا بني أُخرج، غيّر الجو المحيط بك حتى لا تصاب باكتئاب المراهقين.

رفعت رأسي ونظرت إلى وجهه الطيب البشوش، رأيته يمد يده بعدة آلاف من الجنيهات، ويقول:

. لزوم القهوة والشاي، يللا؛ يا عم.

غمز بعينه غمزة ذات معنى، وابتسم لي، فابتسمتُ لطيبة قلبه وخوفه علي، تأملت وجهه ورأيتُ الحكمة تطل من عينيه،

هذه الحكمة التي لا يصل إليها الانسان إلا بعد المائتي عام الأولى من عمره القصير، عندها هززت رأسي من النشوة وجريت في مرح نازلا سلم البيت قفزا إلى المقهى القريب.

٥ ـ مقام الخروج

فيم كانت المرأة تفكر بعد أن أكلت من الشجرة؟

رأتْ أدهم جالسا تحت شجرة عاريا بلا لباس، يمسك في يده جريدة مصورة من جرائد الجنينة، ويقلب فيها حتى وصل إلى صفحة الكرة الأرضية، كان يشاهد مستمتعا صور الحياة، وقفتْ تتأمله، لأول مرة تراه، هذا الشعر الأسود الجعد الغزير الذي يكلل رأسه، والعضلات التي يذخر بها جسده، يا الله، كل هذه التقاسيم الجسدانية!! كأن جسده معزوفة موسيقية تدغدغ نغماتها خلايا جسدها، تقف وهي لا تريم، تتحسس بعينيها كل قسمة فيه بدءاً من الرقبة الطويلة القوية وهذين العاتقين والمنكبين العريضين والذراعين العضلتين المفتولتين فتلا، والصدر الذي يغطيه شعر كثيف، يذكرها بالتلة المعشوشبة التي تقع فوقها الشجرة المحرمة، ثم هذا ال...، ارتعد جسدها، همست لنفسها:

. أ كل هذا يا مسكين؛ بينا ستظل إلى أبد الدهر ضائعا بلا عمل وتقضي وقتك فيما لا يفيد ولا ينفع؟

اقتربتْ منه، فلم ينتبه لوجودها، ثم انتبه ولم يعبأ، أخذت تهش ذكور الطيور الملونة التي كانت تبعث بألحان أشواقها لإناثها، أحدثت ضجة كبيرة، حتى فزع أدهم، ورفع رأسه إليها، قال:

. ماذا هناك ؟

. هذه الطيور أصبحت مزعجة.

لم يدرك معنى هذه الكلمة الجديدة، أدارها في فمه (مزعجة) فكر مليا في معنى الكلمة، ثم مط شفتيه وانصرف مرة أخرى لصفحة الكرة الأرضية، لكن صوت حفيف عنيف أحدثته حوراء وهي تنتزع بيديها أوراقا من شجرة موز، جعله ينظر إليها؛ وهي تلف الأوراق الخضراء الكبيرة حول حقويها، تمعن فيها رآها أصبحت أكثر جمالا بذلك اللباس الأخضر، تساءل متعجبا:

. لماذا تغطي جسدها؟ ما أعجب هذا المخلوق، كل الحيوانات هنا عرايا، وأنا نفسي عاريا.

كان شيء غريب يعمل في عقله، هو لم يرها منذ الأمس، لكنها لما عادت أصبحت تتصرف على نحو عجيب، تصدر ألفاظا لم يسمعها من قبل، يحار في معناها، وللحظة رأى في

يدها ثمرة من تلك الشجرة، التي حُرم عليهما الأكل منها، اندهش، ورنا إلى الشجرة، رأى ثمارها تكاد على البعد تضيء، نهض، سألها:

. أ قطعتها من الشجرة؟

هزت رأسها في براءة، أخذ الثمرة من يدها، كانت تبدو ثمرة عادية، ليس بها ذلك الشعاع الخفي الذي يشع منها وهي معلقة على فروع الشجرة، هم يقذف بها بعيدا، فندتْ منها صرخة قصيرة، توقف ونظر إليها متعجبا متسائلا:

. ماذا؟

. لا تلقها.

. لماذا؟

. جئت بها لتأكلها.

. متى؟

. الآن.

. كيف؟

. اقضمها، سيسيل منها عصير طيب المذاق.

قال يسألها:

. أ أكلتي مثلها؟

. نعم، أكلت منها.

ها هي بعد أن رفعته من مقام الجهل إلى مقام الأسئلة، تأخذه إلى مقام الإجابات، وتهوي به إلى متاهة الحيرة، هز رأسه رافضا الفكرة، وضع يديه على رأسه متكدرا، بكت في صمت، وقالت تودعه:

. سأجمع أشيائي وأمضى.

. أشياؤك؟ أي أشياء لك هنا؟ نحن مجردين من الأشياء.

. صارت لي بعض أشياء قليلة منذ أن أكلت الثمرة.

. مثل؟

. صنعتُ من ليف الأشجار ثوبا، وأخذتُ من حجر الصوان قطعة تشبه نصل سكين، لأدفع بها عن نفسي أذى الكائنات الأرضية.

لم يفهم من كلامها سوى كلمة (أشياء) لكنه أدرك أنها ستمضي وتتركه، هز رأسه أسفا، وهمس مودعا:

. صاحبتك السلامة.

. بل قل الندامة.

لأول مرة في حياتها، تنساب دموعها على وجنتيها، ومع ذلك كانت الماكرة تعرفه جيدا، وتدرك أن قطرات الماء هذه ستهز كيانه هزا، فالدموع أحالت وجهها إلى وجه طفل صغير بائس ضائع، همت تمضي عنه، أمسك بها من كتفها وثورة عارمة تعتمل بداخله، قال لها:

. إذا مضيت وتركتني، ستعود هذه الجنينة كما كانت قبل مجيئك مكانا مجردا بلا معنى، وسأمضي يومي في ملل يقتلني في كل لحظة أعيشها.

قال، ثم قضم في غضب قضمة كبيرة من الثمرة التي جاءت بها المرأة إليه، انفتحت عينه، واستحال المكان أمام عينيه مجرد

غابة لا أكثر، أدرك أن الوقت قصير، ورأى المرأة جنة الوقت، نظر إليها، كانت تلك أول مرة يراها وهي واقفة أمامه مثالا حيا للجمال الأنثوي متى اكتمل، شعر مسترسل كأنه جدول ماء منساب يكاد يلمس كعبيها، وعينان واسعتان معبرتان عن روح مفعم بالحب، وشفتان ترسلان نداء خفيا لقلبه، وجيد سارح ريان، وثديان ناهضان يرضعان السماء، وخصر ضامر، وفخذان مترعتان بالوعد، يعلوهما مثلث يغطيه دغل صغير، فارت بداخله الشهوات وهو ينظر إلى جسدها، تلاقت عيونهما، فأدرك أنها أيضا تشتاق إليه، اقترب منها، تعانقا وراحا يتلاثمان لثمات سريعة متلهفة، ثم تدحرجا معا على العشب، حتى التقيا.

ساد الغابة صمت غريب، ووقفت كل الطيور على الشجر، والحيوانات عند ينابيع المياه؛ تشاهدهما وهما يتشاجران.

فصل: في دائرة العالم يشتمل على القصص التالية:

١. روبابيكيا يعني خردة.

٢ . كما يصـــاد السمك.

٣ . التجربة الأسبانيـــة.

٤ . جلسة علنيـــــة.

٥. جار الهنا يا جـــار.

١ ـ روبابيكيا يعني خردة

منذ عدة سنوات، تراكمت كميات من الخردة فوق سطح البيت، وأصبحت ملاذا آمنا للفئران، ولما كانت الكمية كبيرة، قررت أن أبيعها على عدد من المرات.

وكلما ناديت سريحا من الذين يعملون في جمع المخلفات، ساومني على شرائها بخسا أو مجانا تقريبا، بل إن بعضهم بالغ في السماجة وطلب مبلغا من المال مقابل رفعها.

مرة ناديت واحدا منهم، كان صعيديا بخيره، لهجته ماتزال طازجة لم تتأكل بعد بفعل الحياة في المدينة، كان ملبسه نظيفا، يضع على رأسه شالا أبيض، وينتعل نعلا جديدا، قررت أن أبدأ معه بمواسير شبكة المياه القديمة التي تم استبدالها بعد أربعين سنة من الخدمة، عاينها، وقال:

. نستفتح منك يا بلدياتي، بكم؟

بعد أخذ وعطاء اتفقنا، خلع جلبابه وشاله، واستعان على الشقاء بالله، نقل الحاجة على عربة يجرها حمار سعيد، وعندما انتهى، سألني:

. عندك حاجات كثيرة، ناوي على بيعها؟

قلت له:

. مر عليّ باكر.

هكذا بيعت الأشياء على ثلاث دفعات، وفي كل مرة كان يدفع ثمنا معقولا، مما جعلني أسأله:

. حقيقة أنت تدفع ثمنا معقولا مقابل شراء الخردة على عكس بقية السريحة الآخرين؟ لماذا؟

قال:

. أنا أشتغل لحالي.

. يعني أنت معلم.

. آه، معلم، أصل ربك كريم.

ثم واصل وهو يجلس منهكا:

. يا أخي قل حتى كوب شاي.

ارتبكت قليلا، وقمت، أعددت كوبين من الشاي.

قال وهو يشفط الشاي في شفطات كبيرة بصوت مسموع:

. يا أخي ربك كريم معي، أنا بعد ما نزلت من البلد بيوم واحد، ولد عمي أخذني من يدي وراح بي لمعلم الخردة، الرجل سلمني عربة يد و خمسين جنيها عهدة، وقال لي:

ـ تسرح في منطقة الفلل (الفيللات) في مصر الجديدة، المربع من ميدان الجامع لميدان الاسماعيلية.

خرجت ومعي ولد عمي يسب ويلعن، قلت له:

. ما لك يا أخي ؟

قال:

ـ أبدا، المربع خال من الخردة، يعني الشمس ستهرَأ قفاك على الفاضي.

قلت له:

. خلّيها على الله.

مشيت بالعربة اليد من ناحية المهاجرين غايتي منطقة الفلل (الفيللات) ساعتان وأنا ألف على رجلي وأصيح، إن أحدا يقول لي: أنت يا جحش، أبدا، وبعدين على غفلة مني طلعت مدام حلوة وصغيرة، أطلت من بلكونة، وقالت:

. أنت يا أسطى.

تلفت حولي، فلم أجد أي أسطى، عادت تقول:

. أنت يا إنسان أنت، تعال.

دخلت الفله (الفيللا) أوقفتني أمام دولاب قديم واجهته زجاج ممتلئا يا خال أطباقا وصواني وملاعق وشوكا وسكاكين معدن صدئة، وقالت في قرف:

. هذه الروبابيكيا تتبع حماتي الله يرحمها، تنفع معك؟

لم أفهم الكلمة لأني لم أكن سمعتها قبل ذلك اليوم السعيد، تساءلت:

. روبابيكيا؟!

. نعم روبابيكيا يعني خردة يا بني آدم.

قلت مترددا:

. يعني؛ بكم؟

قالت وهي تزم شفتيها:

. أقول لك خذها من غير فلوس، يللا.

شلت الحاجة والدولاب، وربك ألهمني (هذا ليس بيعا ولا شراء، الحاجة كلها وهبة، يعني لا تروح للمعلم ولا تجعله يشوفك) أدخلت الأشياء في الحجرة الصفيح، وانتظرت.

لما رجع ولد عمي، رأى العربة اليد أمام باب الحجرة، دخل، رأى الأشياء تملأ المكان، قال:

. يخرب بيتك، إياك تكون عملت مصيبة؟

قلت وأنا أشير بإصبعي:

. عاينها، وقل لي رأيك.

مد يده، والتقط قطعة منها، فحصها بعين خبيرة، ولقيته فتح خشمه، وقال:

. يا ولد المحروق.

بعدها خلع جلبابه وصداره وسرواله، ووقف يا مولاي كما خلقتني، وقام ينط مكانه ويرقص، وأنا أحاول أن أوقفه:

. ما لك، طيب قل لي ما لك؟

توقف وأمسكني من كتفي، وقال والشك يطل من عينيه:

. إياك تكون سرقتها؟

. استغفر الله العظيم؛ عيب، أنا وجه سرقة يا ولد عمي، اقعد واهدأ بالله عليك، وأنا أقول لك.

قعد، وحكيت له، سألني:

. طيب والعهدة؟

. لم أنفق منها جنيها واحدا.

. عال، اسمع يا ولد عمي، خذ العربة والعهدة، ورُح للمعلم، قل له: الشغلة تبعك ما عادت تنفع معي، عربتك وعهدتك في يدك، ونحن

شاكرين فضلك وفضل ناسك، وبعدها مر على السوق هات كيلوين كربونات وكيلو ليمون، وتعال بسرعة.

قعدنا طول الليل نلمع في طقم الفضيات (الروبابيكيا) تبع الله يرحمها، وأنا وولد عمي نتبادل النظرات وندعو لها بالرحمة الواسعة والمغفرة بصدق.

أمسكت صينية من الصواني لأختبر لمعانها، رأيت طيف المدام الحلوة يطل منها ويهمس لي:

. روبابيكيا يعني خردة يا بني آدم.

**

٢ ـ كما يصاد السمك

كان له بعض معرفة قديمة ومعلومات عن الأسماك التي تهاجر في الفترة من أول أكتوبر حتى نهاية نوفمبر من كل عام قاطعة آلاف الأميال من المحيط الهندي إلى البحر الأحمر في رحلة طويلة تستعصى على الأفهام، وبعض منها يصل في ارتحاله حتى خليج السويس للتزاوج ووضع البيوض في المياه الدافئة نسبيا، ثم يقفل راجعا قاطعا نفس المسافة ليعود بعد عام.

من هذه الأنواع: الشُعُور والمِحْسن (ابن عم الشعور) والصدف والسهلية والمياس والسلطان ابراهيم والقاصة والدينيس والفارس.... إلخ.

أول نوفمبر الفائت أخذه هاتف الشوق لشراء سمك، لذا قرر أن ذلك هو الوقت الأنسب للذهاب لحلقة السمك.

وصل السوق في العاشرة صباحا، ودخل الهنجر الكبير، كان الحال نائما والأسماك قليلة، ولما كان من عادته أن يتفرج على السوق كله قبل الشراء مع تصنع قدرا من اللامبالاة وعدم الرغبة في الشراء، مشى قاطعا السوق كله، حتى وقعت عيناه على سمكتين من نوع فارس، وهو نوع نادر من الأسماك، يأتي كل عام

إلى المياه العميقة للبحر المتاخم لمدينة القصير في موسم التزاوج، يُصاد بالسنارة على عمق مئة قامة (٢٠٠ مترا) ومذاقه من أطيب الأسماك مذاقا.

نظر إلى السمكتين، وجد إحداهما تبلغ حجما لم يره من قبل، مما يعني مذاقا أطيب، وللتو وقع في عشق محرم سينتهي بأكل الحبيبة الغالية.

قال للبائع وهو يتصنع البلاهة:

. ما نوع هذه السمكة ؟

رد:

. سمك بياض يا أستاذ.

من واقع الخبرة كان يدرك أن أغلب باعة السمك أصبحوا ممن لا علاقة لهم بالبحر أو السمك معا، هم فقط مجرد بائعين.

كانت السمكة تلمع من الطزاجة، تصنع تحسس جسمها بأصبعه، قال له البائع:

. لا تقلب يا أستاذ، وكيلك الله طازجة بدمها.

كان محقا في ذلك، لأن خيشوميها تنيرهما قطرات من دم طازج.

قال لنفسه: ندخل في المساومة:

. بكم؟

قال البائع:

. ٣٥ جنيها الكيلو.

اعتمر طاقية الفلاح الساذج الذي بهرته أضواء المدينة، وقال له:

. إيه، ٣٥ جنيها ؟! ١٥ جنيها، ينفع معك؟

نظر إليه البائع متعجبا، فرفع السعر ووقف بالمساومة عند ٢٠ جنيها، و هم يتصنع المغادرة فلم يهتز البياع، لكنه قال:

. من الآخر ٢٥ جنيها.

. طيب، زنها.

وزنها، كانت عشرة كيلو بالتمام والكمال.

أخذها ودفع بها لصبي التنظيف، وقال له:

. نظفها، ثم اجعل منها فلييه.

لما انتهي من تجهيزها؛ وضعها في عدة شنط بلاستيكية، وانصرف، وعندما ركب الباص أرخى جسده، متنعما بحلاوة الوجود، وقدر أن شخصا مثله يمتلك سمكة من هذا النوع وبهذا الحجم وذلك الثمن لابد أن يكون شخصا سعيدا، قال هامسا لنفسه:

ـ الحياة جميلة، بل وطيبة (ثم استدرك وقال: أحيانا) لأن طيف أبي العلاء المعري خايله وهو يقول:

. تقدرون فتسخر الأقدار.

للحظة انقبض قلبه، غير أنه هش طيف أبي العلاء، وأغمض عينيه ليرتشف من حلاوة اللحظات.

**

في البيت أعد بعض قطع منها للأكل، كان طعمها رائعا، لكن طيف أبي العلاء عاد يطل عليه مرة أخرى؛ وهو يقول محذرا:

. قاتل الله الشره.

لم يولِ انتباها لأبي العلاء - وليته فعل . لأن شوكة لعينة هاربة في لحم السمك لم ينتبه لها؛ تسللت ودخلت فمه، وسكنت عند مؤخرة اللسان في جيب تحت اللهاة، تغرس طرفيها في جنبيه، حاول أن يطالها بأصبعه، فدفعها للداخل أكثر، والأدهى إنه لم يعد يعرف إن كانت باقية أو خرجت، وبعد أن أدمته رقدت مطمئنة تبث الحمى في جسده وتقض رقدته ومنامه.

**

في اليوم التالي نهض من النوم بجسد محموم، وغصة في الحلق تتجاوز الاحتمال، فقرر الذهاب إلى المستشفى أو قل (الشفا خانة) هناك قطع كشف جراحة، قالت له الفتاة المسئولة:

. الدكتور في العمليات.

قعد ينتظر، حتى جاء الطبيب، قص عليه الموضوع، قال:

. حول الكشف إلى طبيب أنف وأذن لا شأن لي بموضوعك.

حَوَّلَ الكشف، نُودي عليه، دخل وسحب الكرسي للخلف ليبتعد عن الدكتور قليلا، فإذ بالطبيب يثور:

. من قال لك ارجع بالكرسي؟

قال مضطربا:

. حتى أستطيع أن أجلس.

قال في غضب زائد عن الحد:

. طيب، أما تجلس؟

أدرك للتو أنه أمام دكتور مجنون ملتاث، ولما كان له في معاملة المجانين حيل لا تنفد، قال مبتسما مهدئا:

. حاضر حاضر، طلبات معاليك أوامر سامية.

اقترب حتى كادت ركبتاه تلتصقان بركبتي الطبيب؛ مع ذلك سمعه يقول بلهجة آمرة:

. اقترب أكثر.

بمجاهدة اقترب أكثر، حتى التصقت ركبهما، فأصابه خجل كخجل العذارى، قال في سره:

. طيب جدا، أما تأخذني على حجرك أحسن؟!

سأل:

. ما الأمر؟

قص عليه ما حدث.

. افتح فمك.

فتح فمه، وضع الطبيب ملعقة فوق لسانه وضغط، وتأفف متضجرا، وقال:

. قل آه.

قال بأريحية وكرم: آهين.

رددهما واضحين جليين ليطمئنه على سلامة نواياه تجاهه وتجاه العالم معا:

. آهٍ، آه.

قال الطبيب مغتاظا:

. ألم أقل لك آه واحدة فقط؟

صاح من عمق ما به:

. آهٍ.

وصمتْ، نظر الطبيب إليه شزرا، وقال:

. لا أرى شيئا، يجب أن تعمل منظارا.

سأل:

. وبعد المنظار؟

قال:

. تذهب إلى جراح، أ تحب أن أكتب لك علاجا؟

. اكتب الاثنين: المنظار والعلاج.

عاد الطبيب إلى الثورة والهيجان:

. عظيم جدا والله، ألم أقل لك ذلك من الأول؟

ارتد إلى الخلف قليلا، وابتسم في برود وهو يكظم غيظه، وعاد إلى محايلة المجانين، وقال للطبيب بلغة عربية فصحي وبلهجة ممسرحة تأخذ بعضا من عبق خالد الذكر يوسف بك وهبي:

ـ أرجوك تحملنا، فنحن نستضيء بنورك البهي، وبحكمتك التي تختال بها علينا، ما نحن سوى بائسين أمام العظمة التي يحوطها السناء وتكللها النورانية التي تطل من وجهك الكريم، تحملنا وتحمل غباءنا، أرجوك...

انفتح فم الطبيب عن ابتسامة واسعة من فيض المديح، وارتسم على وجهه تعبير ماكر، كأنه يهمس: الراجل ده مجنون.

خرج من الشفا خانه متوجها لمنطقة ميدان الجامع لعمل منظار، قال له الرجل المسئول عن الكشف والمناظير:

. أربعمائة وخمسون جنيها.

لم يكن معه المبلغ لأنه أنفق فلوسه في شراء السمك، قال:

. ليس معي المبلغ.

. احضره، وتعال في السادسة مساء.

في طريق العودة بدأ يفكر، أولاد....سيصطادونني كما يصاد السمك.

**

حين وصل إلى البيت وضع أصبع سبابته في فمه حتى آخره، لمس الشوكة ووجدها نائمة هانئة تغرس طرفيها في لحمه وتبعث بالحمى إلى جسده، لكنه لم يستطع سحبها، اتصل بصديقه (الدكتور/.....) فقال له وهو يضحك:

. يا رجل الموضوع أبسط مما تتصور، لف قطعة من القطن على أصبعك، وأمدده في حلقك وسوف تلتقطها.

فعل، والتقط الشوكة اللعينة، وها هي أمامه، طولها سنتيمتران ونصف السنتيمتر، وضعها وجعل ينظر إليها في شماتة وفرح كأنها عدو أثيم نال منه مقتلا.

٣ ـ التجربة الأسبانية

ذلك المساء وقف يتأمل وجه طفلته الصغيرة المريضة (ثومة) كانت نائمة، وجهها يشرق ببراءة عذبة، انحنى ولثم خدها في رفق شديد، لفحه صهد جسدها المحموم، استدار يخفي دمعة أشرقت بها عيناه، نادي على زوجته :

ـ أنا نازل يا لولا، أروح التصوير أولا (قالها في فخر وبعنجهية) وبعده أروح الشغل.

قالت وهي تطوي قطعة من الثياب التي جمعتها من على حبل الغسيل:

. طيب يا حبيبي، يللا؛ ربنا معك.

هبط درجات السلم وهو غارق في التفكير، تذكر ما قاله له مساعد المخرج عن الدور الصغير الذي سيؤديه:

. زوج من الصفعات مقابل خمسمائة جنيها.

تردد لحظات، فتأفف مساعد المخرج، وقال:

ـ الموضوع لا يحتاج إلى تفكير، يا نعم يا لا، هناك غيرك ينتظر.

هز رأسه موافقا:

.كثر خيرك يا أستاذ.

مشى يفكر خمسمائة جنيها بالتمام والكمال في عشر دقائق على الأكثر ستكفي لدفع مصاريف علاج طفلته الصغيرة، لِم لا؟ ومن يدري ربما التفت إليه المخرج بعد ذلك، ليصبر ويتحمل؛ أليس طريق المجد مفروشة بالدموع؟

**

دوى صوت عمر ريشة مساعد المخرج وهو يصيح :

ـ يلا؛ يا إخوانا من بيده سيجارة يطفئها أو كوب شاي يسيبه، تصوير يا عالم.

**

عند بدء التصوير، قال ريشة:

ـ استاند باي، سنبدأ التصوير، مشهد ١٢/ ١٥ التجربة الأسبانية، كلاكيت أول مرة:

دخل النجم الكبير قسم الشرطة ممسكا يد فتاة يافعة تُعد لتصبح نجمة كبيرة أيضا. وبدأ ضابط البوليس في استجواب النجم وهو يصفع بكفه عند نهاية كل سؤال وجه الكومبارس الواقف بجانب النجم، صفعة تلو صفعة تلو صفعة ثم صفعة ثقيلة مدوية أطارت الشرر من عيني الكومبارس وصعدت بالدماء إلى رأسه، استدار ووجه لكمة هائلة للممثل الذي يلعب دور ضابط البوليس، انتزعته اللكمة من الأرض وألقت به أمتارا.

للحظات ساد الاستديو صمت مكين مرت ثوانيه ثقيلة، ثم جرى بعض العاملين ليقيلوا الضابط المرمي على الأرض، بينما انفجر المخرج في الصياح:

. اخرجوا البني آدم ابن..... خارج الاستديو.

امتدت أيد كثيرة إليه تحاول أن تنال منه، تراجع خائفا، فتعثر وسقط، امتدت الأيدي إليه، جرجرته على الأرض ورمت به خارجا.

بصعوبة بالغة نهض متثاقلا، تحسس جرحا صغيرا أصاب وجهه، والتقط بأصبع سبابته دمعة خائنة فرت من عينه، ومضى في طريقه نحو عمله الليلي.

٤ ـ جلسة علنية

كان مطلع شتاء ذلك العام قاسيا، يقترب من الأشياء حوله، ويمسها بأنامله النحيلة الباردة فتصيبها رعدة عنيفة، بينما كانت رياح عاصفة غريبة تعوي كذئبة يعضها جوع قارص؛ يثير جنونها ويجعلها تمسك بمخالب شيطانية نافذة المكتب المتضعضعة وتهزها هزا يكاد يقتلعها من حلقها، ثم تندفع من فتحات أوراق الشيش، وتدفع سم بردها في جسده.

نهض عن مكتبه لينادي مِسَلّم (ساعي المكتب) ليعد له كوبا من الشاي، نادى:

. مِسلم، مسلم.

لم يرد أحد، أطل من باب غرفة المكتب، رأى مسلم جالسا على مقعده يغط في نوم عميق بعد أن طحن بين شدقيه ربطة بصل أخضر وطبقا من الفول وعدة أرغفة.

تركه نائما، أعد كوبا من الشاي، وعاد يجلس إلى مكتبه، ثم أخذ يدفئ أطراف أصابعه بكوب الشاي قبل أن يضعه على

المكتب ليلتقط كتاب (جلسة سرية) مزمعا الدخول إلى عالم سارتر المدهش.

كانت الساعة تقترب من العاشرة صباحا، والمكتب يكاد يخلو من الجمهور، بينما انتدب معظم الموظفين لمتابعة العمل بالمجمعات الاستهلاكية، بعد أن تم إغراقها بالفراخ المجرثمة ولحوم الوحوش الشاردة في جبال الارجنتين، التي استوردها مستورد فاجر بمباركة من وكلاء وزارة التموين والوزير نفسه بل ورئيس الجمهورية المغدور لاحقا.

انتبه لزينب (الدبة الشرسة سيئة الخلق، كما يدعوها سرا) وهي تدخل المكتب تماما كالعاصفة الهوجاء التي تضرب وجه الحياة بالخارج.

لم يولها انتباها، لكن ما أثار اهتمامه هو ذلك الكائن الانساني البسيط الذي جاء مهرولا خلفها، رجل في نهاية العقد الرابع، أسمر سمرة غميقة، يلبس بزة صيفية رمادية حائلة اللون من قماش رخيص، خِيط خياطة سيئة، لا تليق بقرس شتاء ديسمبر، يداه معروقتان وجسده نحيل ووجهه مستطيل كأنه لوحة من لوحات سلفادور دالي.

هاجمت الدبة دولاب الحائط بحثا عن ملف من الملفات، بينما أخرج الرجل علبة سجائر رخيصة من أشد أنواع السجائر شرا وفتكا بالبشر، فضلا عن رائحتها الكراهية التي تشبه رائحة المبيدات الحشرية، مد له يده بسيجارة منها، ابتسم ابتسامة مقتضبة وهز رأسه معتذرا متأملا وجهه أكثر ليتيقن من أنه أمام كائن آدمي ضائع وتائه حقيقة لا تمثيل.

كانت الدبة قد وقعت على الملف المطلوب، قلبته حتى عثرت على الخطاب المنشود، قالت:

. طلب استخراج بطاقة التموين لك مؤشر عليه من مكتب الوزير بالرفض.

. طيب والحل؟

ــ لا أعرف، خذ الجواب ورُح لمكتب الوزير لو أحببت.
ــ يعني أنتم تريدون إذلالنا أكثر مما نحن مذلون.
ــ لا دخل لنا بذُلَّك أو سعدك هذه تعليمات الشغل.
. يا ناس، أنا ابن رئيس الجمهورية

عندها ألقى بسارتر وجلسته السرية جانبا، ليعيش هذا الموقف الوجودي لجلسة علنية أكثر ادهاشا ورعبا، ركز بصره على وجه ذلك الكائن الإنساني البائس، محاولا التقاط أي معلم من معالم لجنون المطبق الذي تدل عليه كلماته، لكن وجه الرجل البائس ظل صامدا صامتا لا يفصح إلا عن صبر مكين لرجل اعتاد تجرع الذل المرير.

قال مبتسما ظانا أن الرجل مدخول في عقله:

. أنت ابن رئيس الجمهورية؟

أجاب:

. نعم، ابن رئيس الجمهورية.

. طيب، أرني بطاقتك الشخصية.

أخرج بطاقة عائلية من حافظته، ومد يده بها إليّه، قرأ بصوت هامس:

يوسف.....

المهنة : سائق.

أعاد إليه البطاقة وهو في حالة من الذهول، رفع رأسه إليه، فقابلت عيناه نظرة تبوح بعذاب هائل، وتحمل معانى لم يصدف له أن احتشدت بداخله: غضبا، غيظا؛ بعض خوف من الحياة ومذلة وشفقة وهمسة جنون وعجزا مريرا وحيرة، عبث بعلبة سجائره الرخيصة، التقط منها سيجارة، وأشعلها ليخبئ خلفها روحه المنكسرة وهو يستدير ليخرج.

زم بدوره شفتيه غضبا، وأشرقت عيناه بدموع غاضبة حتى إنه لم يستطع أن يراه ينسحب وحيدا ذليلا، بينما اقتحمت الريح المسعورة شباك النافذة، بعثرت أوراق مكتبه، وألقت بسارتر وجلسته السرية جانبا، وأطارت خطاب الوزير ورمت به على الأرض.

٥. جار الهناء يا جار

كنت قد انتقلت حديثا لمدينة من المدن الجديدة، وبينما كنت في شقتي أستعد للقراءة، سمعت طرقا على باب الشقة، نهضت لأفتح الباب، وجدت جارا لم يكن لي سابق معرفة به واقفا يبتسم ابتسامة عريضة، قال وهو يفرك يديه من البرد:

. مساء الخير.

قلت متسائلا:

. مساء النور.

. طيب قل: ادخل.

. تفضل

دخل وأدار بصره كالثعلب في أرجاء الصالة، ثم قال:

. الله الله، تليفزيون سانيو ٢٠ بوصة، الله أكبر، سيمكننا الآن أن نشاهد مباريات الكرة.

صمتُ ولم أعلق، سأل مستفسرا:

. ماذا ؟ نحن جيران، والنبي أوصي على سابع جار يا أخي.

قلت:

. نعم معك حق؛ الجار للجار، لكنني لا أحب مشاهدة مباريات الكورة.

. لا بأس، نتفرج على الأفلام العربي، أظنك تحبها؟

. الحقيقة؛ أنا لا أشاهد في التليفزيون سوى نشرة اخبار التاسعة.

. يا الله! أخذنا الكلام، ألن نشرب شاي؟

ارتبكت قليلا، ثم نهضت وأنا أقول:

. آه، طبعا نشرب شاي.

نهضت لعمل الشاي، وعندما عدت حاملا الصينية وكوبي الشاي، وجدته قد فتح الثلاجة، وأخرج طبقا ممتلئا بالتين أو كان ممتلئا به، لأنه قد أتى على ما فيه من ثمرات، قدرت أنه كان يبتلعها ابتلاعا دون كثير من المضغ، نظر إلى مبتسما وهو يمد يده بآخر واحدة منها، ويقول:

. قلت لنفسي لا أحرمك منها.

أخذت الثمرة من يده وأنا أنظر إليه متعجبا، قال:

. لا تؤاخذني؛ البرد والجوع.

ابتسمت وقلت له:

. بالهناء والشفاء.

سألني وأنا أقضم الثمرة:

. أمتزوج أنت؟

. نعم؛ متزوج.

همهم:

. لك زوج إذن.

هززت رأسي، واصل:

. لكن أين زوجك؟

. في القاهرة مع الأولاد.

. ألديك أولاد؟

. نعم، اثنان، ولد وبنت.

. ياه! ولماذا تركتهم؟

. لم أتركهم، أعود إليهم مرتين في الأسبوع.

. أقصد لماذا لا يقيمون معك؟

. لأنني لم أتمكن من نقل عمل زوجي بعد.

. آه، قلت لي، زوجك تعمل إذن.

. نعم.

. ماذا تعمل؟

. مدرسة.

. ياه، مثلي، ماذا تُدرس؟

. اللغة الانجليزية.

. علاقتكما جيدة؟

نظرت إليه متعجبا، قال معتذرا:

. لا أقصد شيئا سيئا.

قلت مبتسما لأرفع عنه الحرج:

. لا عليك، علاقتنا جيدة.

ابتسم، وقال مستدركا:

. لا، أنا أقصد علاقتكما الجنسية.

انتفضت من الغيظ، وقلت بعصبية:

. أستاذ محمود، أرجو أن تراعي المسافات.

. مسافات؟! (أدار عينيه في المكان كأنه يقيس أبعاده ومسافاته ثم قال) اسمي مصطفى وليس محمود.

. أستاذ مصطفى؛ انتبه لما تقول.

. علام أنتبه؟ أنا فقط أطمأن عليك لا أكثر.

. كن مطمئنا.

ابتسم ابتسامة بلهاء بينما كنت أتميز غيظا، لذا قررت أن أسأله بدوري وأنا أتصنع نفس سمته وبلاهته:

. وأنت يا أستاذ مصطفي، أ أنت متزوج؟

نظر مستغربا سؤالي:

. نعم، ألا تعلم؟ أنا جارك يا أخ.

قلت:

. حقيقة لا أعلم تمام العلم، أظن أن زوجك هي تلك السيدة

البيضاء السمينة الطرية.

ازدادت ابتسامته اتساعا، وقال وهو يغمز بعينه:

. آه، يا لئيم، هذه ليست زوجي، إنها زوج أحمد أمين الشرطة، فاحترص.

قلت متخابثا:

. أليست زوجك؟

قال مبتئسا متحسرا:

. لا، زوجي سمراء جدا ونحيفة.

نظرت متعجبا من تحسره، فقال متداركا:

. يعلم الله كم أحبها، لكن ليس الحب هو ما جمعنا، إنما جمعتنا نظرية قديمة أخذتها عن والدي رحمه الله، إذ إنه يوما أخبرني كلما كانت المرأة سمراء؛ كلما كانت نشيطة (ثم غمز مبتسما) أنت لا تعرف الحبة السوداء و لا نشاطها وحميتها في كل شيء.

هززت رأسي، وقلت:

. شملكما السعادة والهناء.

قال وهو يأخذ حسوة من الشاي:

. التين كان جميلا جدا، شكرا جزيلا (ربت على بطنه، ثم نظر إلى ساعته) وقال في توسل:

. أقوم أنا، اسأل عليّ يا أخي.
. بالطبع سأسأل.

. أرجوك؛ اسأل.

قلت من بين أضراسي:

. سأسأل.
ثم رددت الباب خلفه وأنا أتميز من الغيظ.

**

ثم بدأ يتردد عليّ من حين لحين؛ ليطلب مفتاح أنبوبة الغاز، أو ليستعير الدراجة لقضاء حوائج البيت، لم أكن أمانع مادام سيغرب عن وجهي، لكنه كان أحيانا يدخل، ومرة جلس متكدرا حزينا، رأيتني أشفق عليه، سألته:
. ما لك؟

بدأ يسب الزمن والناس والأيام الحالكة التي جعلت مثله يحتاج إلى وجه إنسان من الناس الأنذال:
. تصور طلبت من عاطف (الجار الذي يسكن شقة بالدور الأخير) سلفة بسيطة عشرين جنيها، لا تستحق . والله . عناء طلوع السلم؛ لكنه أنكر أن يكون معه نقود.

أدركت ما يرمي إليه، قلت:

. جميعنا هنا في آخر الشهر نكون في حاجة إلى نقود.

أدرك بدوره أن محاولته معي ستنتهي بالفشل، فصمت، ثم قال:

. لكن أنت مفتول العضلات ما شاء الله.

مد يده وأمسك بعضلة ساعدي، فابتسمت في فخر، ونظرت إلى جلد يديه المتغضن، نهض وبدأ يجوس بكفه متحسسا عضلات جسمي:

. الله الله؛ ترابيس ورفارف وبنش وباي وتراي اللهم لا حسد، أ كنت تعمل حاملا في الميناء؟

قلت والكلمات تخرج تصفر من فمي:

. لا لم أعمل يوما حمالا.

. غريبة، ظننتك كنت تعمل حمالا (ثم قفز فوق كلامه سائلا) ألديك مطرقة ثقيلة وإزميل؟

قلت لنفسي (وما له، أحسن من طلب النقود في هذه الظروف الصعبة) نهضت، وأحضرت المطرقة والإزميل، أخذهما من يدي قائلا:

. عظيم؛ تعال معي.

. خيرا؟

. كل خير، ستفتح لي فتحة صغيرة في الحائط ؛ حتى أتمكن من نقل سخان الغاز من الحمام إلى المطبخ.

. ولكن الجدران هنا خرسانية.

. وما له، أنت قوي وهذه رياضة، تصور كمية الكولسترول التي ستتخلص منها بذلك المجهود الحميد، هيا يا أخي انفض عنك الكسل، هذا أحسن من أن تدفع فلوسا.

. ولماذا أدفع فلوسا؟

. العشرون جنيها التي كنت سأدفعها للنحات.

. آه؛ قلت لي.

. آه، وماذا كنت تظن؟ أهناك شيء في هذه الدنيا بلا ثمن، يللا؛ استعن على الشقاء بالله.

ساعتان وأنا أفرغ غيظي في الحائط حتى فتحت الفتحة المطلوبة، وقفت أجفف عرقي، ناولني كوبا من الماء البارد شربته، ومددت يدي لأخذ المطرقة والإزميل، أمسك بساعدي ليوقفني، وسألني:

. أليست لك دراية ببرادة التركيبات (السباكة) ؟

كادت دمعة تفر من عيني، قلت بعصبية شديدة أخافته:

. لا ليس لي دراية بالسباكة.

ابتسم وطبع قبلة على جبيني، وقال:

. يا عم لا تزعل، كنت فقط أسأل، أنت غال علينا والله يعلم.

. أشكرك..

**

لم تمض سوى أيام قليلة، حتى دق جرس الشقة، قمت لأفتح ودمعة مكابرة تكاد تقفز من عيني وأنا أهمس:

. من سيكون سواه؟

فتحت الباب، رأيته يقف يبتسم ابتسامة عريضة ممسكا في يده طفلة في العاشرة من عمرها، قال هاتفا:

. مساء الخيرات.

. مساء الخير.

. ابنتي عفت .

. آه، أهلا وسهلا، تفضلا.

. لا أنا مستعجل، جئت لأقول لك إن عفت نجحت وطلعت الأولى على المدرسة في رابعة ابتدائي.

. صحيح، ألف مبروك يا بنتي.

. الله يبارك فيك يا عمو.

قال لها:

. قولي له يا عفت؛ لا تكوني خجولة.

تحرجت الصغيرة قليلا، ثم قالت بلهجة متكسرة، كأنها تسترجع ما حفظت:

. بابا قال لي من شهرين: لو نجحت وطلعت الأولى عمك جلال سيحضر لك هدية كبيرة.

نظرت إلى الطفلة الصغيرة في إشفاق على حظها العاثر الذي أوقعها في يد هذا الأب المصيبة ليغرس فيها الدناءة غرسا، فهو لم يكن معوزا إلى هذا الحد، ابتسمت وأنا أهز رأسي، قلت له:

. تفضل يا أستاذ محمود.

أخذته رجفة عصبية، وقال مغتاظا:

. الله! قلت لك اسمي مصطفى.

. آسف جدا، أنت تذكرني بصديق قديم كان اسمه محمود.

رفع أصبعه منبها وهو يستدير لينزل آخذا الطفلة في يده:

. خذ بالك؛ اسمي مصطفى.

**

مضت أيام على تلك الواقعة، كان قد أصبح فيها جزءا من خيالي ووهمي، وكنت إذا ما سمعت أقداما تصعد الدرج أتطير مستعيذا بالله من أن يكون هو، وذات مرة أتعسني الحظ، قابلته صدفة وأنا عائد من العمل، قال يستظرف وهو يسد السلم عليّ:

. قفشتك، ألم تحضر هدية عفت؟ البنت تسألني كل يوم، ولا أدري ماذا أقول لها؟ يا أخي لا أعرف من أين جاءت بكل هذا الإلحاح؟

أجبته وأنا أكظم غيظي:

. صحيح من أين جاءت بكل هذا الإلحاح؟

. لا أدري.

. عموما ربنا يسهل، عندما أنزل القاهرة سأرى ما يمكنني فعله.

. طيب أرجوك لا تنس، لأن دماغي أوجعني والله.

هززت رأسي مبتسما وأنا أتجهز للفرار، ثم عنت لي فكرة شريرة، قلت له:

. من عيني يا أستاذ محمود.

وقف واجما ينظر إليّ، ثم قال:

. اسمي مصطفى وليس محمود.

. ولكنني مازالت مصمما أنك محمود، أنا متأكد، لا تحاول أن تتصنع، لماذا تخفي اسمك الحقيقي؟

قال محتدا:

. قلت لك خمسين مرة اسمي مصطفى.

قلت سادرا في البرود:

. لا تحاول أن تخدعني يا محمود.

نظر في شك إليَّ، قبل أن يصرخ في وجهي:

. سيكون فراق بيني وبينك إذا قلت محمود.

. أنا لا أعطي عقلي للوهم أبدا، أنت محمود.

نظر إلى في غضب واستدار نازلا، وهو يقول:

. إنسان مجنون فعلا.

**

مضيت أصعد الدرجات إلى شقتي وأنا أكتم موجة هائلة من الضحك، وما إن فتحت الباب حتى اندفعت في ضحك هستيري سائب لم أستطع السيطرة عليه، ارتميت على فوتييه وكلما تذكرت ملامح وجه مصطفى وعلامات البؤس التي كست وجهه، ازدادت نوبة الضحك هستيريا، حتى إنني لم أتمكن من إيقافه، فارتميت على الأرض أتلوى، ثم انفجرت في البكاء.

**

الكاتب في سطور:

جمال زكي مقار

. روائي وقاص مصري مواليد عام ١٩٥٥ محافظة السويس

. البريد الالكتروني: gamal_z_m@hotmail.com

. عضو اتحاد كتاب مصر، عضو نادي القصة.

<u>الأعمال المنشورة :</u>

- ١-(الضعيفة يأكلها القراد) مجموعة قصص قصيرة ، صادرة عن الهيئة المصرية العامة للكتاب ، عام ١٩٩١ .
- ٢-(أغنية الدم) ـ رواية ـ صادرة عن دار سعاد الصباح ـ ١٩٩٣
- ٣-(طريد وقصص أخرى) ، صادرة عن المركز الثقافي العربي . بيروت ١٩٩٦
- ٤-(تحولات إنسان عابر) ـ مجموعة قصص قصيرة ، صادرة عن الهيئة العامة لقصور الثقافة ، سلسلة أصوات أدبية عام ١٩٩٨ .
- ٥-(جواد) ـ رواية ـ صادرة عن المجلس الأعلى للثقافة ـ سلسلة إبداعات التفرغ ، ٢٠٠٤ .

- ٦-(سفر الطفولة ، ونصري والحمار) روايتان ، صادرتان عن دار العين ٢٠٠٦ ..
- ٧-(كتاب الودعاء) رواية من جزءين ، صادرة عن دار الشروق عام ٢٠٠٧
- ٨ -(رقصة الكتكوت الأخيرة) رواية صادرة عن مطبوعات ورشة الزيتون .
- ٩-(بينما فيروز تغني) مجموعة قصص قصيرة ، المجلس الأعلى للثقافة ٢٠١٢ .
- ١٠-(القرداتي) مجموعة قصص قصيرة ، الدار للنشر ٢٠١٧ .

<u>أعمال قيد النشر :</u>

- (التقرير) - رواية .
- (أنا ابن رئيس الجمهورية) رواية .
- (جواد الجزء الثاني) رواية .

الجوائز الأدبية :

١- الجائزة الأولى ، فرع القصة القصيرة ، مسابقة د. سعاد الصباح عام١٩٩٠ عن مجموعة (الضعيفة يأكلها القراد)

٢- الجائزة الأولى في الرواية ، من المجلس الأعلى للثقافة عام ١٩٩٥ ، عن رواية (أغنية الدم)

٣- الجائزة الأولى في النقد الأدبي ـ جائزة يوسف السباعي ، التي نظمها المجلس الأعلى للثقافة ، عام ١٩٩٦ ، عن مبحث بعنوان (قراءة نقدية في أدب جمال الغيطاني، ونموذج تطبيقي على متون الأهرام .)

٤- جائزة الدولة التشجيعية في الآداب عام ١٩٩٨، عن رواية (طريد وقصص أخرى)

٥- جائزة ساويرس للأدب المصري عام ٢٠٠٧، فرع القصة القصيرة عن مجموعة سفر الطفولة ونصري والحمار

الفهرس

ديباجة ٥
فصل: في دائرة الطفولة ويشتمل على القصص التالية: ٧
١ . مأساة السيدة ليندا..... ٩
٢. قليل من الريش ١٧
٣ . كيف فقد جليل ملاكه الحارس في عدة خطوات متتالية ٢٣
٤ . أنت لا تستطيع أن تنتعل حذاءين في وقت واحد. ٣٣
٥ . عبد الله الجن..... ٥٥
فاصل من الغرابة ويشتمل على القصص التالية: ٦٧
١ . طائر. ٦٩
٢. لا تلعب معه. ٧٩
٣. الطريق إلى المتعة..... ٩١
٤ . مقتطف من يوميات شيخ صغير ١٠٥
٥ . مقام الخروج.....١١٣
فصل: في دائرة العالم يشتمل على القصص التالية:.....١١٩
١ . روبابيكيا يعني خردة ١٢١
٢ . كما يصاد السمك ١٢٩
٣ . التجربة الأسبانية ١٣٩
٤ . جلسة علنية ١٤٣
٥. جار الهناء يا جار ١٤٩